
سلسلة
صرخة الرعب
Goosebumps®
R.L.STINE
Looloo
أعماق الخطر
نهضة مصر

التى صنعها ألكسندر. ففى الليلة الماضية، صنع لنا طبق الكرنب، وعلى الإفطار هذا الصباح قدم لنا فطيرة القمح التى نزلت فى معدتى كسفينة تيتانيك وهى تغرق.

همست إلى شقيقتى قائلاً: «ابدئى أنت أولاً».

فردت شينا: «لا، فلتجرب أنت أولاً. فأنت الأكبر».

كان بطني يصدر أصواتًا من الجوع. تنهدت. فلم يكن أمامى إلا أن أتذوقها.

غمست أسناني فى الساندوتش وبدأت أمضغ.

ليس سيئًا، هذا ما ظننته فى البداية. قليل من الدجاج وعليه قليل من المايونيز، وطعمه كطعم أى ساندوتش سلطة دجاج عادى. ولكن فجأة، بدأ لسانى يحترق وأحسست بحريق فى فمى كله.

صرخت وجذبت كوب الشاى المثلج أمامى وشربته دفعة واحدة.

ثم صحت قائلاً: «الشُعب النارية! هل وضعتها على سلطة الدجاج؟».

ضحك ألكسندر وقال: «بل وضعت قليلاً من الفلفل الحار، هل أعجبك؟».

قالت شينا وهى تضع الساندوتش جانبًا: «أعتقد أننى سأتناول حبوب القمح للغداء. إذا لم تمانع».

فرد ألكسندر غاضبًا: «لا يمكن أن تتناولى الحبوب فى كل الوجبات. فلا عجب أنك فى غاية النحافة. فأنت لا تأكلين إلا الحبوب. أين روح المغامرة لديك؟».

وهنا قلت فى خجل: «أعتقد أننى أيضًا سأتناول الحبوب؛ كنوع من تغيير الروتين».

وجاء دكتور دى إلى المطبخ وقال: «ماذا لدينا على الغداء؟».

فرد ألكسندر: «لدينا ساندوتشات سلطة الدجاج، ولقد صنعتها حارَة».

فحذرته قائلاً: «إنها حارَة جدًا».

نظر دكتور دى إلىَّ ورفع حاجبيه، ثم قال: «حقًا أنا لست جائعًا لهذه الدرجة. أعتقد أننى سأكتفى بتناول الحبوب».

فعرضت شينا فكرتها وقالت: «ربما أمكننا أنا وبيلى أن نعد العشاء الليلة». ثم وضعت الحبوب فى طبق وأضافت عليها اللبن واستكملت حديثها: «فليس من العدل أن يظل ألكسندر يطبخ طوال الوقت».

فأجاب دكتور دى: «إنها فكرة جيدة يا شينا. فما هو الشىء الذى تستطيعان أن تصنعاه أنتما الاثنان؟».

فقلت: «أستطيع أن أصنع كيكة شيكولاتة».

وقالت شينا: «وأنا أستطيع أن أعد الكريمة».

فرد دكتور دى متحمسًا: «ربما أنا من سيطهو الليلة. هل تحبون السمك المشوى؟».

قلت: «هذا عظيم».

ذهب دكتور دى بعد الغداء إلى مكتبه؛ ليراجع بعض النقاط.

وأخذنى ألكسندر أنا وشينا إلى المعمل؛ لنتفرج.

كان المعمل مكانًا جميلاً به ثلاثة أحواض زجاجية بجانب الحائط ممتلئة بأسماك غريبة ومذهلة.

ففى الحوض الصغير، كانت هناك سمكتان لونهما أصفر زاهٍ من نوع حصان البحر، ويوجد أيضًا فى الحوض سمك البوق وهو عبارة عن سمك طويل لونه أحمر فى أبيض على شكل أنبوب.

وكانت تسبح معهم فى الحوض الكثير من الأسماك الصغيرة.

أما الحوض الآخر، فكان يحوى سمك الملاك، وهو سمك لونه أحمر فى برتقالى كلون النار، وكذلك يوجد أيضًا سمك لديه ناب متعدد الألوان ومنقط باللون البرتقالى كنوع من التمويه.

أما الحوض الأكبر، فكان يحتوى على شيء يشبه الثعبان، لونه أصفر فى أسود وفمه ممتلئ بالأسنان.

صاحت شينا وهى تنظر إلى السمكة الطويلة وعلى وجهها نظرة اشمئزاز: «يا للهول». ثم قالت: «إنها ضخمة حقًا».

فقال ألكسندر: «هذا ثعبان الماء الأسود، إنه يعض ولكنه غير مميت، نطلق عليه بيف».

أحدثت ضوضاء على الزجاج ونظرت إلى بيف ولكنه تجاهلنى، وتساءلت ماذا سيكون الحال لو تقابلت وجهًا لوجه مع بيف فى المحيط؟

كانت أسنانه تبدو بغيضة، ولكنه لم يكن فى حجم وحش البحر.

وتصورت أن ويليام ديب جونيور ـ العالم المشهور فى أنحاء الدنيا والخبير فى كشف ما تحت البحار ـ يستطيع أن يتعامل معه.

ذهبت بعيدًا عن أحواض السمك ووقفت بجانب لوحة التحكم وأنا أنظر إلى المفاتيح والأزرار وسألت: «ماذا يفعل

ذلك الزر؟»، وضغطت عليه فصدر صوت عالٍ كالبوق وقفزنا جميعًا من الرعب.

فقال ألكسندر ضاحكًا: «هذا الزر يشغل السارينة».

وقالت شينا: «لقد قال دكتور دى لبيلى ألا يلمس شيئًا بدون أن يسأل أولاً. قالها له مليون مرة ولكنه لا يبالى».

فقلت لها بحدة: «اصمتى أيتها المتحذلقة».

فقالت: «اصمت أنت».

فتدخل ألكسندر قائلاً: «ليس هناك مشكلة»، ورفع يديه مشيرًا إلينا لنهدأ، ثم قال: «لم يحدث ضرر».

عدت مرة أخرى إلى لوحة التحكم. كانت معظم الأزرار مضاءة وبها مؤشرات حمراء تتحرك، ولكننى لاحظت أن أحد هذه الأزرار غير مضاء والمؤشر الأحمر الخاص به لا يتحرك.

فسألت: «ما هذا الزر؟ واضح أنكم نسيتم أن تشغلوه».

فرد ألكسندر: «هذا الزر يتحكم فى زجاجة نانسن، لكنه معطل».

فسألت شينا: «وما زجاجة نانسن؟».

فأجاب ألكسندر: «إنها تقوم بجمع مياه البحر من على عمق كبير».

فسألت مرة أخرى: «ولماذا لا تقومون بإصلاحه؟».

فرد ألكسندر: «لأننا لا نستطيع تحمل نفقاته».

وهنا سألت شينا: «ولم لا؟ ألا تمنحكم الجامعة المال؟».

فكلانا كان يعلم أن جامعة أوهايو هى التى تتكفل بنفقات الأبحاث التى يجريها دكتور دى.

ولكن ألكسندر شرح لنا قائلاً: «إنهم يعطوننا المال لأبحاثنا، لكنه كاد أن ينفد، ونحن ننتظر لنرى هل سيعطوننا المزيد أم لا؟

أما فى الوقت الراهن، فنحن لا نملك المال لنصلح الأشياء».

فسألته: «وماذا لو تعطلت «كاسندرا» أو حدث شىء من هذا القبيل؟».

فرد ألكسندر: «عندئذ سنضطر لأن نرسو بها، أو نحاول إيجاد طريقة لنحصل بها على المال».

فقالت شينا: «يا للهول! ذلك يعنى أنه لا مزيد من زيارات الصيف».

أما أنا فكرهت فكرة أن ترسو «كاسندرا» فى المرفأ.

والأسوأ من ذلك أن دكتور دى سيكون مضطرًا للبقاء على الأرض ولن يدرس الأسماك.

كان عمى يشعر دائمًا بالتعاسة عندما يضطر للنزول إلى الشاطئ، ولا يشعر بالراحة إلا وهو على المركب. أنا أعلم ذلك؛ لأنه فى أحد أعياد الميلاد أتى إلى بيتنا لزيارتنا.

فعادة البقاء مع دكتور دى أمر ممتع، ولكن زيارة عيد الميلاد كانت كالكابوس.

قضى دكتور دى معظم الوقت يتحرك فى المنزل هنا وهناك ويلقى علينا أوامره وكأنه قبطان، فكان يصرخ قائلاً: «اجلس معتدلاً يا بيلى وأنتِ يا شينا، نظفى ظهر المركب».

لم يكن على طبيعته على الإطلاق.

وأخيرًا فى ليلة عيد الميلاد لم يستطع أبى أن يتحمل أكثر من ذلك فطلب منه أن يُعَدِّل من مزاجه أو يرحل.

فى النهاية، قضى دكتور دى معظم الوقت يوم عيد الميلاد فى حوض الاستحمام يلعب مع مراكبى الصغيرة. فمادام فى الماء يكون على طبيعته.

ولم أشأ أن أرى دكتور دى مرة أخرى محبوسًا على الأرض.

وهنا قال ألكسندر: «لا تقلقا أيها الأولاد؛ فدائمًا ما يجد دكتور دى طريقة لمعالجة الأمر».

وتمنيت أن يكون ألكسندر على حق.

درست بعد ذلك زرًا آخر غريبًا مكتوبًا عليه «مجس صوتى».

فقلت: «هل يمكن يا ألكسندر أن ترينى كيف تعمل المجسات الصوتية؟».

فرد ألكسندر: «بالتأكيد، ولكن دعنى أنهى بعض أعمالى اليومية أولاً».

ذهب إلى حوض السمك الأول واصطاد بعض السمك الصغير بشبكة صغيرة، ثم سألنا: «من يريد أن يطعم بيف اليوم؟».

فقالت شينا باشمئزاز: «بالطبع ليس أنا».

وأنا قلت: «مستحيل»، وذهبت إلى نافذة صغيرة ونظرت من خلالها. خُيل إلىَّ أننى أسمع صوت محرك بالخارج. فحتى الآن لم نر إلا القليل جدًا من المراكب الأخرى. فلم يمر أناس كثيرون بإيلاندرا.

وجاءت مركب بيضاء صغيرة ورست بجانب «كاسندرا».

كانت أصغر ولكنها أحدث من مركبنا، وعليها لافتة مكتوب عليها «حديقة حيوان مارينا».

كان هناك رجل وامرأة يقفان على ظهر المركب، كلاهما كان يرتدى ملابس أنيقة عبارة عن بنطلونات كاكى وقمصان بها أزرار فى نهايتها.

وكان شعر الرجل قصيرًا وقد قصه بطريقة جيدة، أما المرأة فكان شعرها بنى اللون وربطته ذيل حصان، وكانت تحمل معها حقيبة سوداء.

لوح الرجل لأحد ما على ظهر «كاسندرا» وتوقعت أنه يلوح لدكتور دى.

وهنا وقف بجانبى ألكسندر وشينا ينظران من خلال النافذة.

وسألت شينا: «من هذا الشخص؟».

فرد ألكسندر وهو يعدل صوته: «من الأفضل أن أذهب لأرى ماذا يحدث» وأعطى الشبكة لشينا وبها الأسماك الصغيرة قائلاً: «خذى هذه وأطعمى بيف، سأعود بعد قليل» وترك المعمل مسرعًا.

نظرت شينا إلى السمك فى الشبكة وبدا على وجهها علامات الاستياء ثم قالت: «لن أمكث هنا وأرى بيف وهو يأكل تلك الأسماك المسكينة».

ثم وضعت الشبكة فى يدى وجرت خارج الكابينة.

أنا أيضًا لم أشأ أن أرى بيف يأكل السمك المسكين، ولكننى فى الوقت نفسه لم أكن أعرف ماذا سأفعل بهم.

وبسرعة ألقيت السمك فى حوض بيف، فمد بيف رأسه

إلى الأمام وافترس سمكة بأسنانه فاختفت السمكة فى الحال، ثم انتزع سمكة أخرى.

كان يأكل بسرعة.

وضعت الشبكة على المنضدة وخرجت من المعمل.

سلكت طريقى عبر الممر الضيق لأصعد على ظهر المركب؛ لأستنشق الهواء.

وسألت نفسى: هل سيسمح لى دكتور دى أن أغطس مرة أخرى هذا المساء؟

وفكرت فى أنه إذا وافق، فسوف أسبح بالقرب من المستنقع، وأبحث عن أى علامة على وجود وحش البحر.

هل كنت خائفًا؟

نعم.

ولكننى كنت مصممًا على أن أثبت لأختى ولعمى أننى لست مجنونًا، وأننى لم أختلق الأمر.

كنت مارًا بالقرب من مكتب دكتور دى، فسمعت بعض الأصوات وتوقعت أن يكون دكتور دى وألكسندر معًا ومعهما الشخصان اللذان أتيا من حديقة الحيوان.

توقفت للحظة فقط وأقسم أننى لم أشأ أن أتنصت. ولكن الرجل الذى يعمل فى حديقة الحيوان كان يتكلم بصوت مرتفع ولم أستطع أن أمنع نفسى من سماع الحديث.

وكان ما قاله هو أغرب شىء سمعته فى حياتى بأكملها.

كان الرجل يصيح قائلاً: «لا يعنينى كيف ستفعل ذلك يا دكتور ديب ولكننى أريدك أن تعثر على عروس البحر».

٦

عروس البحر!

هل كان جادًا؟

لم أصدق نفسى. هل كان فعلاً يريد من عمى أن يعثر له على عروس بحر حقيقية وحية؟

كنت أعلم أن شينا سوف تردد نغمتها المفضلة: «ليس هناك شىء من هذا القبيل. ليس هناك شىء من هذا القبيل».

ولكننى الآن أمام رجل ناضج يعمل فى حديقة الحيوان ويتكلم عن عروس البحر. يجب أن يكون هذا الأمر حقيقيًا.

بدأ قلبى يخفق من الفرح؛ فربما أكون أحد الأوائل على ظهر الأرض الذى يرى عروس البحر.

ولكن جاءتنى فكرة أفضل: «ماذا لو كنت أنا من يجدها؟».

عندئذ سأصبح مشهورًا. سوف أظهر على شاشات التلفزيون وفى كل مكان. وسأكون ويليام ديب جونيور مكتشف البحار المشهور.

وبعدما سمعت ذلك لم أستطع أن أذهب. كان يجب أن أسمع المزيد.

كتمت أنفاسى وضغطت بأذنى على الباب أسترق السمع.

سمعت دكتور دى يقول: «السيد شوالتر، الآنسة ويكمان.. من فضلكما حاولا أن تفهما. أنا عالم ولست مدرب سيرك. فعملى جاد ولا أستطيع أن أضيع وقتى باحثًا عن كائنات خيالية».

فقالت الآنسة ويكمان: «نحن فى غاية الجدية يا دكتور ديب. هناك فعلاً عروس بحر فى هذه المياه. وإذا ما استطاع أحد أن يجدها فستكون أنت».

وسمعت ألكسندر يسأل: «وما الذى جعلكما تعتقدان أن هناك فعلاً عروس البحر؟».

فأجاب الرجل الذى يعمل فى حديقة الحيوان: «لقد رآها صياد يعيش فى جزيرة قريبة، وقال إنه اقترب منها جدًا وهو متأكد أنها حقيقية. لقد رآها بالقرب من الشُعب. الشُعب التى تقع خارج إيلاندرا».

الشُعب! ربما تعيش فى المستنقع.

وضعت أذنى على الباب والتصقت به أكثر. لم أشأ أن تفوتنى أى كلمة.

فقال عمى: «بعض هؤلاء الصيادين يؤمنون بالخيال يا سيد شوالتر».

ثم أضاف متهكمًا: «فعلى مدى أعوام، كنا نسمع هذه القصص، ولكن ليس هناك سبب منطقى يجعلنا نصدقها».

فردت المرأة: «نحن أيضًا لم نصدق الصياد فى البداية، ولكننا سألنا بعض الصيادين الآخرين فى المنطقة فقالوا إنهم أيضًا رأوا عروس البحر وأعتقد أنهم يقولون الحقيقة، وذلك لأن الأوصاف التى ذكروها متطابقة تمامًا مع أوصاف عروس البحر حتى فى أصغر تفصيل».

سمعت صوت كرسى المكتب الخاص بعمى يتحرك وتخيلت أنه يستند عليه ويقول: «وكيف وصفوها بالضبط؟».

فقال السيد شوالتر: «قالوا إنها تشبه فتاة صغيرة فيما عدا...»، واستطرد وهو يعدل صوته: «ذيل السمكة، هى صغيرة ورقيقة وشعرها أشقر».

ثم قالت المرأة: «لقد وصفوا ذيلها بأنه لامع، لونه أخضر زاهٍ».

ثم أضافت: «أعلم أن ذلك يبدو أمرًا لا يصدق يا دكتور ديب، ولكن عندما تحدثنا إلى الصيادين اقتنعنا تمامًا بأنهم رأوا عروس البحر».

وسادت لحظة صمت.

هل يفوتنى شىء؟ ضغطت بأذنى على الباب وسمعت عمى يسأل:

«ولماذا بالتحديد تريدان صيد عروس البحر؟».

فقالت المرأة: «من الواضح جدًا أن عروس بحر حقيقية وحية ستكون عنصر جذب مذهلاً فى حديقة حيوان مثل حديقتنا. فالناس من كل أنحاء الدنيا سوف يتوافدون لزيارتها ورؤيتها، ولسوف تجنى حديقة حيوان مارينا ملايين الدولارات».

وقال السيد شوالتر: «نحن على استعداد تام لكى ندفع لك نظير ما ستتكبده من مشقة يا دكتور ديب. أعلم أن المال قد بدأ ينفد منك. ماذا لو رفضت الجامعة إعطاءك المزيد من المال؟ سيكون أمرًا بشعًا أن تضطر لوقف أعمالك الهامة لهذا السبب».

وقالت المرأة: «إن حديقة الحيوان تعدك بأن تعطيك مليون دولار إذا ما وجدت عروس البحر، وأنا واثقة أن معملك سيظل يعمل لوقت طويل اعتمادًا على هذه الأموال».

قلت لنفسى: «مليون دولار! كيف يمكن لدكتور دى أن يرفض عرضًا كهذا؟» خفق قلبى فرحًا، والتصقت أكثر بالباب؛ لأسمع ماذا سيكون رد عمى.

٧

وبينما كنت مستندًا على الباب، سمعت دكتور دى وهو يصفر طويلاً، ثم قال: «إنه مبلغ كبير يا سيدة ويكمان».

كانت هناك لحظة صمت طويلة ثم استطرد قائلاً:

«ولكن حتى إذا كان هناك فعلاً عروس بحر، فلن أشعر أننى أفعل الصواب إذا ما قمت باصطيادها ووضعها فى مكان للعرض».

فأجاب السيد شوالتر: «أعدك بأننا سنوليها عناية فائقة»، ثم أضاف: «فنحن نولى الدلافين والحيتان عندنا عناية كبيرة، وبالطبع سوف تحصل عروس البحر على معاملة زائدة وخاصة».

واستكملت الآنسة ويكمان الحديث قائلة: «تذكر يا دكتور ديب أنك إذا لم تجدها فسوف يجدها شخص آخر، وعندئذ لن يكون هناك ضمان أنهم سيعتنون بها كما سنعتنى نحن بها».

فأجاب عمى: «أعتقد أنكِ على صواب وسيكون ذلك دفعة كبيرة لأبحاثى إذا ما عثرت عليها».

فسأل السيد شوالتر بشغف: «هل معنى ذلك أنك قبلتَ المهمة؟».

قلت فى نفسى: «قل نعم يا دكتور دى! قل نعم!».

ألصقت جسدى بالكامل بالباب.

فأجاب عمى: «نعم. إذا كانت هناك فعلاً عروس البحر فسوف أجدها».

قلت لنفسى: هذا ممتاز.

وقالت الآنسة ويكمان: «جيد جدًّا».

وأضاف السيد شوالتر بحماس: «هذا قرار ممتاز. كنت أعلم أننا جئنا للرجل المناسب لهذه المهمة».

وقالت الآنسة ويكمان: «سنعود بعد أيام قليلة لنرى كيف تجرى عملية البحث، وأتمنى أن يكون لديك أخبارٌ سارة فى ذلك الوقت».

وعلق ألكسندر قائلاً: «ولكن ليس هذا بالوقت الكافى».

فأجابت الآنسة ويكمان: «نعلم ذلك. ولكن من الواضح أنه كلما عثرنا عليها أسرع كان هذا أفضل».

وقال السيد شوالتر: «من فضلك ـ من فضلك اجعل هذا الأمر سرًّا بيننا. فلا يجب أن يعرف أحدٌ بأمر عروس البحر، وأنا متأكد أنك تعلم ماذا يمكن أن يحدث لو...».

وفجأة، حدث صوت ارتطام؛ حيث فقدت توازنى وسقطت فى مواجهة الباب.

وكانت صدمة لى عندما انفتح الباب؛ حيث سقطت داخل الغرفة.

٨

سقطت ككومة قش فى منتصف أرضية الكابينة.

نظر إلىَّ دكتور دى والسيد شوالتر والآنسة ويكمان فى دهشة وأفواههم مفتوحة.

أعتقد أنهم لم يتوقعوا حضورى.

قلت مترددًا بصوت خفيض: «مرحبًا بالجميع»، وشعرت أن وجهى يحترق وعلمت أنها حمرة الخجل، ثم أضفت: «إنه يوم جميل للبحث عن عروس البحر».

وهنا قفز السيد شوالتر بغضب ونظر إلى عمى قائلاً: «كان من المفترض أن يكون هذا سرًا».

جاء ألكسندر إلىَّ وساعدنى على النهوض على قدمى، ثم قال: «لا تقلق بشأن بيلى»، ووضع يديه حولى ثم قال: «يمكنك الوثوق به».

وقال دكتور دى لزائريه: «أنا فى شدة الإحراج. هذا ابن أخى بيلى ديب، هو وأخته فى زيارة لى لبضعة أسابيع».

وسألت الآنسة ويكمان: «وهل يستطيعان كتمان سرنا؟».

نظر دكتور دى إلى ألكسندر الذى أومأ برأسه، ثم قال دكتور دى: «نعم أنا واثق أنهما يستطيعان» وأضاف: «بيلى لن يقول شيئًا لأحد. أليس كذلك يا بيلى؟».

نظر إلىَّ وهو يضيق عينيه. أكره هذه النظرة، ولكن هذه المرة لم أستطع أن ألومه.

هززت رأسى وقلت: «لا لن أخبر أحدًا. أقسم على ذلك».

وقال دكتور دى: «ولمزيد من الاحتياط يا بيلى، لا تذكر أمر عروس البحر لشينا؛ فهى صغيرة جدًا لكى تحتفظ بسر كبير كهذا».

وأجبت فى جدية: «أعدك»، ثم رفعت يدى اليمنى وكأننى أحلف اليمين وقلت: «لن أقول شيئًا لشينا».

كان هذا بالنسبة لى شيئًا ممتعًا.

فأنا أعلم أكبر سر فى هذا العالم وشينا ليس لديها أدنى فكرة.

تبادل الرجل والمرأة النظرات. وأحسست أنهما لا يزالان يشعران بقلق.

فقال ألكسندر: «تستطيعان فعلاً أن تثقا فى بيلى. فهو جاد جدًا بالنسبة لسنه».

قلت فى نفسى: أراهنك أننى جاد.

فأنا ويليام ديب جونيور، أشهر صائد لعروس البحر.

بدا على السيد شوالتر والآنسة ويكمان بعض الراحة.

وقالت الآنسة ويكمان: «هذا جيد».

ثم صافحت دكتور دى وألكسندر ثم أبا.

جمع السيد شوالتر بعض الأوراق ووضعها فى حقيبته.

وقالت الآنسة ويكمان: «سنراكم بعد أيام قليلة. نتمنى لكم حظًا طيبًا».

قلت لنفسى وأنا أنظر إليهما وهما يبتعدان بالمركب بعد دقائق قليلة: لن أحتاج إلى الحظ.

لن أحتاج إلى الحظ؛ لأننى أمتلك الموهبة والجرأة.

كان رأسى يدور من كثرة الأفكار المثيرة لدىَّ: هل سأسمح لشينا بالظهور معى على شاشات التليفزيون بعدما أنجح فى اصطياد عروس البحر وحدى؟

ربما لا.

فى هذه الليلة، تسللت من المركب ونزلت خفية فى المياه المظلمة، ثم سبحت فى هدوء حتى وصلت إلى المستنقع.

نظرت مرة أخرى إلى «كاسندرا». كانت تطفو بهدوء فوق المياه، وكانت النوافذ كلها مظلمة.

ورأيت أن هذا جيد، فليس هناك أحد مستيقظ يلاحظ أننى غير موجود.

لا أحد يعرف أننى فى الخارج. لا أحد يعرف أننى أسبح ليلاً فى البحر وحدى.

كنت أسبح بثبات وسهولة تحت ضوء القمر الفضى وسلكت طريقى حول الشُّعب حتى وصلت إلى المستنقع المظلم.

وعندما وصلت خلف الشُّعب أبطأت من حركتى.

كانت عيناى تتحركان بشغف حول المستنقع، والأمواج تتمايل ببطء من تحتى، وكانت المياه تتلألأ وكأنها امتلأت بملايين من قطع الماس الصغيرة التى تطفو على السطح.

تُرى أين عروس البحر؟

كنت أعلم أنها هناك. أعلم أننى سأجدها فى هذا المكان.

ومن أسفل منى سمعت صوتًا ضعيفًا.

استمعت بإنصات. كان الصوت ضعيفًا ولكنه بدأ يعلو.

وكانت الأمواج تتلاطم وأصبح الصوت وكأنه ضجيج متصل.

كان كصوت الزلزال. زلزال فى قاع المحيط.

تلاطمت الأمواج وتقاذفت بشدة وكنت أصارع؛ لأبقى فى أعلى.

ماذا كان يحدث؟

وفجأة، ومن منتصف المستنقع ارتفعت موجة كبيرة، كانت تعلو وكأنها نافورة عملاقة لأعلى. فوق رأسى. كانت طويلة وكأنها مبنى ضخم.

أهى موجة نتيجة المد والجزر؟

لا.

انشقت الموجة.

وظهر مخلوق مظلم تحتها. كانت المياه تخرج من جسده الغريب، نظر إلىَّ بعينه الواحدة. كانت قرونه تمتد وتنكمش؛ فصرخت.

كان الوحش ينظر إلىَّ بعينه البنية الباهتة.

حاولت أن أستدير وأسبح بعيدًا.

لكنه كان سريعًا جدًّا.

امتدت قرونه جذبتني والتفت شيئًا فشيئًا حول خصري.

ثم مد قرنًا باردًا ورفيعًا حول عنقي وبدأ يعتصره.

٩

قلت وأنا أختنق: «أنا... أنا لا أستطيع التنفس!».

شددت القرن الملتف حول رقبتي:

«فليساعدني أحد!».

فتحت عيني ونظرت إلى السقف.

كنت مستلقيًا في فراشي.

في كابينتي.

وكانت الملاءة ملتفة حولي بشدة.

أخذت نفسًا عميقًا وانتظرت حتى هدأت دقات قلبي. كان حلمًا. حلمًا فقط.

مسحت عيني وقمت من مكاني ثم نظرت من النافذة. كانت الشمس قد بدأت تظهر في الأفق، وكانت السماء حمراء اللون وتلونت المياه باللون الأرجواني الغامق.

نظرت خلف الشُّعب ورأيت المستنقع. كان هادئًا تمامًا.

ولم يكن وحش البحر موجودًا.

مسحت العرق من على جبيني بكمِّ سترة منامتي.

ليس هناك ما يدعو للخوف. هذا ما قلته لنفسى، فهو مجرد حلم. حلم سيئ.

هززت رأسى محاولاً نسيان وحش البحر.

لا يمكن أن أدعه يخيفنى. لا يمكن أن أدعه يمنعنى من العثور على عروس البحر.

هل استيقظ أحد؟ هل صحت بصوت مرتفع أثناء نومى؟

استمعت جيدًا. كل ما سمعته هو صوت المركب وصوت الأمواج على جانبيها.

أسعدنى شعاع شمس الصباح الوردى، وبدت المياه المظلمة مشجعة، ارتديت لباس السباحة خلسة وتسللت من كابينتى بمنتهى الهدوء؛ لم أشأ أن يسمعنى أحد.

فى المطبخ، رأيت براد قهوة نصف مملوء على السخان.

هذا يعنى أن دكتور دى قد استيقظ.

مشيت على أطراف أصابعى فى الممر وأنصت. سمعته يتحرك فى المعمل الرئيسى.

أخذت أنبوبة الأكسجين وحذاء الغوص والقناع وصعدت على ظهر المركب.

لم يكن هناك أحد.

كان الساحل خاليًا.

وبهدوء، نزلت من السلم وتسللت إلى المياه، ثم غصت داخل المستنقع. كنت أعرف أنه من الجنون أن أتسلل هكذا

ولكنك لا تستطيع أن تتخيل كم كنت أشعر بالإثارة. فحتى فى أبعد أحلام اليقظة لدىَّ - كويليام ديب جونيور مكتشف أعماق البحار - لم أتخيل أننى سوف أشاهد عروس بحر حقيقية وحية!

حاولت أن أتخيل شكلها وأنا أسبح نحو المستنقع.

فقد ذكر السيد شوالتر أنها تشبه فتاة صغيرة وشعرها أشقر طويل ولديها ذيل سمكة أخضر.

ورأيت أن هذا شىء عجيب.

فنصفها إنسان ونصفها سمكة.

حاولت أن أتخيل نفسى وقد استبدلت بقدمى ذيل سمكة فسأكون أفضل سباح على وجه الأرض لو كان عندى ذيل سمكة وباستطاعتى فى ذلك الحين أن أفوزَ بالأوليمبياد حتى بدون تدريب.

وسألت نفسى: هل هى جميلة؟ هل يمكنها أن تتحدث؟

تمنيت لو أنها تستطيع أن تخبرنى بكل أسرار المحيط.

وسألت نفسى مرة أخرى: كيف يمكنها أن تتنفس تحت الماء؟

وهل تفكر مثل البشر أو السمك؟

كان عندى أسئلة كثيرة.

ستكون هذه المغامرة هى أعظم مغامرة فى حياتى وبعدما أصبح مشهورًا سوف أؤلف كتابًا عن مغامراتى فى قاع البحر وأسميه: «الشجاعة فى عمق البحر» لويليامَ ديب جونيور.

وربما يحوله أحد إلى فيلم سينمائى.

رفعت رأسى من تحت الماء ورأيت نفسى أقترب من الشُّعب.

وكنت حريصًا على الابتعاد عنها؛ فلم أشأ أن ألمس الشعب النارية مجددًا.

لم أكن أطيق صبرًا لأستكشف المستنقع، كنت فى غاية الاستثارة. ونسيت الحلم المرعب الذى رأيته الليلة الماضية.

حركت قدمى بحذرٍ وأنا أنظر بهانتباه إلى الشعب الحمراء. كنت قد مررت منها بصعوبة عندما شعرت بشىء يلمس قدمى.

فصرخت: «آه»، وبلعت بعضًا من المياه المالحة.

أخرجت المياه من فمى وأنا أختنق، وأحسست بشىء يلتف حول كعبى.

جذبنى ثم خدشنى فيه.

كنت أعلم هذه المرة عن يقين أنها ليست أعشاب البحر، فأعشاب البحر ليس لديها مخالب!

١٠

تجمدت تقريبًا من الفزع ولكننى تجاهلته وأخذت أرفس وأركل بكل قوتى.

فصرخ صوت: «توقف! توقف عن ركلى!».

هل هى عروس البحر؟!

صرخت بغضب: «ما هذا؟»، ورأيت رأس شينا بجانبى.

نزعت قناع الغوص وقالت: «لم أخدشك بقوة هكذا! فلست فى حاجة إلى أن تتصرف بجنون!».

صحت فى وجهها: «ماذا تفعلين هنا؟».

فردت بوقاحة: «ماذا تفعل أنت هنا؟ أنت تعلم أن دكتور دى طلب منا ألا نسبح هنا».

فصرخت: «إذن، لا ينبغى لك أن تكونى هنا. أليس كذلك؟».

فردت وهى تعدل قناعها: «كنت أعلم أنك تنوى أن تفعل شيئًا ولهذا تبعتك».

فقلت: «أنا لا أنوى أن أفعل شيئًا. أنا أغوص فقط».

وكنت أكذب بالطبع.

فردت قائلة: «بالتأكيد يا بيلى. فأنت تغوص فى الساعة السادسة والنصف صباحًا وفى مكان غير مفترض لك أن توجد به وفى المنطقة التى أحرقت فيها قدماك على هذه الشعب النارية أمس. فإما أنك تنوى أن تفعل شيئًا أو أنك مجنون تمامًا». نظرت إلىَّ شينا شزرًا فى انتظار الرد.

يا له من اختيار صعب! فإما أننى أنوى أن أفعل شيئًا أو أننى مجنون، فبأيهما أعترف؟

فإذا قلت لها إننى أنوى شيئًا؛ فهذا يعنى أننى سأذكر لها أمر عروس البحر ولا أستطيع أن أفعل ذلك.

فقلت وأنا أحرك كتفى بطريقة عادية: «نعم، أعتقد أننى مجنون».

فردت بسخرية: «جميل. أنباء عظيمة».

ثم قالت: «عد إلى المركب يا بيلى. فدكتور دى سيبحث عنا».

قلت: «فلتذهبى أنتِ. أما أنا فسأبقى هنا قليلاً».

فقالت شينا: «دكتور دى سيكون فى غاية الغضب يا بيلى. ومن المحتمل أنه الآن على وشك النزول إلى الزورق ليبحث عنا».

كنت على وشك أن أستسلم وأعود معها ولكننى رأيت بطرف عينى المياه وهى تتحرك على الجانب الآخر من

الشُّعب. وفكرت فى أنها ربما تكون عروس البحر! لابد أن تكون هى! وإذا لم أذهب لأبحث عنها الآن فربما أفقدها.

استدرت بعيدًا عن شينا وبدأت أسبح بسرعة كبيرة متجهًا مباشرة إلى الشُّعب.

وسمعت شينا تصرخ: «عد يا بيلى! بيلى!».

تخيلت أننى سمعت فى صوتها رعشة خوف ولكننى تجاهلتها، فهى فقط تحاول أن تخيفنى مجددًا.

وصرخت شينا مرة أخرى: «بيلى! بيلى!».

استمررت فى السباحة.

فمن المستحيل أن أتوقف الآن.

ولكن كما اتضح لى بعد ذلك، كان يجب أن أستمع إليها.

١١

كنت أسبح بسرعة كبيرة. رفعت رأسى فوق المياه أبحث عن مكان جيد أسبح فيه بأمان بالقرب من الشعب النارية.

رأيت المياه تتحرك عبر المستنقع بالقرب من الشاطئ.

قلت لنفسى وأنا فى شدة الاستثارة: «لابد أنها عروس البحر».

ونظرت جيدًا محاولاً أن أخطف نظرة منها.

خُيل إلىَّ أننى رأيت زعنفة ما.

سلكت طريقى عبر الشُعب فى العمق وأنا أسبح فى مياه المستنقع. حاولت جاهدًا أن أرى عروس البحر ولكن قناعى امتلأ بالغمام.

قلت لنفسى: «يا للحظ السيئ! فليس هذا بالوقت المناسب لكى يتسرب قناعى المياه.

صعدت لأستنشق الهواء ونزعت قناعى. تمنيت ألا أفقد عروس البحر بسبب هذا.

مسحت المياه عن عينى ووضعت القناع حول معصمى ثم نظرت إلى المستنقع.

هنا رأيتها، على بعد مئات الياردات منى.

ولكن ليس ذيل السمكة الأخضر لعروس البحر.

كانت زعنفة على شكل مثلث رمادى فى أبيض، واقفةً فى المياه.

كانت إحدى زعانف سمك القرش.

نظرت فى فزع وزعنفتها تتحرك فى الماء وتتجه نحوى بخطوات ثابتة ومستقيمة كالطوربيد.

١٢

أينَ شينا الآن؟

هل مازالت خلفى؟

نظرت خلفى فوجدتها تسبح نحو القارب بعيدًا.

كان يجب أن أنسى أمر شينا. فالزعنفة الرمادية كانت تتحرك وتقترب منى بمنتهى السرعة.

ضربت الماء بيدى محاولاً السباحة بعيدًا.

وعندما سبح القرش خلفى مباشرة توقفت عن السباحة.

هل سيذهب بعيدًا؟ هل سيتركنى؟

كانَ قلبى فى حلقى، وبدأت أسبح فى الاتجاه الآخر نحو الشُّعب بعيدًا عن القرش.

كانت عيناى تركزان على هذه الزعنفة.

بدأ سمك القرش يستدير واتجهت الزعنفة نحوى فى قوس واسع.

صرخت: «يا إلهى»، وكنت فى منتهى الفزع عندما أدركت أن القرش قد بدأ يحيطنى فى دائرة.

الآن، لم أكن أعرف من أى طريق أذهب. كان القرش يسبح بينى وبين القارب وفكرت فى أننى لو استطعت أن أستدير وأصعد على الشُّعب فربما أكون فى أمان.

وبدأت الزعنفة الكبيرة تقترب أكثر.

فمضيت فى اتجاه الشُّعب. كان يجب أن أترك مسافة بينى وبين القرش.

وفجأة، ظهرت الزعنفة أمامى، بينى وبين الشُّعب.

وظل القرش يطوقنى ويقترب منى أكثر فأكثر. كان يسبح بمنتهى السرعة ويضيِّق الدائرة شيئًا فشيئًا.

وقعت فى الفخ ولكننى لم أستطع أن أبقى ساكنًا. فلا أستطيع أن أطفو وأنتظر القرش لكى يلتهمنى.

كان يجب أن أقاتل. ركلت برجلى وأنا فى شدة الذعر وسبحت نحو الشُّعب. كنت أقرب إلى الشعب حينئذٍ ولكن دائرة القرش ظلت تصغر شيئًا فشيئًا.

تنفست بعض الهواء بسرعة، كنت عاجزًا عن التفكير بوضوح، وأحسست بالفزع ولم أكن أفكر إلا فى شىء واحد:

القرش! القرش!

وكررت الكلمة: القرش. القرش!

كان القرش يسبح حولى ويطوقنى فى دائرة ضيقة وذيله يرسل بالأمواج فوقى.

القرش. القرش.

نظرت إلى الوحش وعيناى مفتوحتان من شدة الذعر.

كان يسبح بالقرب منى جدًا. رأيته بوضوح شديد.

كان ضخمًا، يبلغ طوله على الأقل عشرة أقدام، رأسه طويل، مخيف، وكبير كرأس المطرقة وكانت عيناه على الجانبين.

سمعت صوتى يرتعش: «لا.. لا».

شعرت بشىء بارد يلمس قدمى.

القرش. القرش.

كان بطنى يؤلمنى من شدة الخوف. ألقيت برأسى إلى الخلف وصرخت صرخة رعب:

«آااااه...».

سرى الألم فى جسدى كله.

كان القرش قد ضربنى بأنفه. فارتفع جسدى فوق المياه وارتطم بسطحها محدثًا صوتًا.

تجمدت من الرعب.

كان القرش جائعًا.

أراد أن يقاتلنى.

طوقنى واتجه نحوى مباشرة.

فتح أنيابه ورأيت صفوفًا من الأسنان الحادة.

صرخت بأعلى صوتى: «لا»، ثم تحركت وأنا فى شدة الفزع. ثم رفست بكل قوتى.

تحركت الأسنان الحادة نحوى ولكنها لم تصب قدمى.

الشُّعب. يجب أن أذهب إلى هناك. إنها فرصتى الوحيدة.

سبحت نحو الشُّعب. كان القرش يسبح نحوى. ففررت منه مرة أخرى.

أمسكت بالشعب الحمراء وسرى الألم فى يدى. إنها الشعب النارية.

لم أهتم.

كانت قمة الشُّعب تطفو على سطح المياه. حاولت أن أجذب نفسى لأعلى. وكان جسدى كله ملدوغًا.

كدت أنجح. وقريبًا سأصبح فى مأمن.

وبدفعة قوية، رفعت نفسى فوق الشعب، ولكننى سقطت مرة أخرى فى المياه.

وارتطم بطنى بجانب الشُّعب، ثم شعرت بضربة قوية على قدمى.

حاولت أن أجذب قدمى بعيدًا، لكننى لم أستطع.

كانت قدماى محشورتين فى فك القرش.

وعقلى يصرخ من الفزع.

القرش. القرش.

لقد نال منى!

١٣

كان جسدى كله يحترق ألمًا. وانزلقت بصعوبة فى الماء.

كان القرش يعلم أنه نال منى. ولم يكن لدىَّ قوة للقتال.

وفجأة، سمعت صوتًا فى الماء بجانبى.

ترك القرش قدمى واتجه ناحية الصوت.

لم يكن لدىَّ وقت لألتقط أنفاسى؛ حيث عاد القرش مرة أخرى وطوقنى ليهاجمنى.

كانت أنيابه على وشك الفتك بى.

أغمضت عينى وصرخت فى رعب.

مرت ثانية ثم أخرى ولم يحدث شىء.

سمعت صوت ارتطام عاليًا.

ففتحت عينىَّ.

كان هناك شىء يقف بينى وبين القرش على بعد أقدام قليلة منى نظرت محدقًا. تحولت المياه إلى اللون الأبيض،

وصعد ذيل سمكة طويل لونه أخضر لامع من المياه، ثم نزل بسرعة مرة أخرى.

كانت هناك سمكة أخرى تصارع القرش!

تدحرج القرش فى المياه، ثم هاجم فضرب الذيل الأخضر القرش بقوة.

ونزل القرش إلى أسفل.

لم أستطع أن أرى ماذا يحدث. كانت المياه تتحرك بقوة وتقذف بالأمواج البيضاء عاليًا.

وامتلأت المياه حولى بالفقاقيع والرغاوى البيضاء. ثم سمعت صوت حيوان يصرخ فوق المياه.

إن أسماك القرش لا تصرخ. أليس كذلك؟ فما الذى يصدر هذا الصوت؟

ارتفع القرش فوق سطح المياه وفتح أنيابه ليعض شيئًا.

فعل ذلك مرة ثم أخرى، ولكنه كان يعض فى الهواء.

ثم صعد ذيل السمكة الطويل الأخضر وضرب القرش بقوة.

كانت ضربة قوية على رأسه العريض.

أغلق القرش فكيه وغطس فى الماء.

ثم كان هناك صوت ارتطام عال. وتوقفت المياه عن الحركة.

وبعد ثانية واحدة، رأيت الزعنفة الرمادية الكبيرة على بعد ياردات قليلة.

كان القرش يندفع فى الاتجاه المعاكس.

حدقت إلى الذيل الأخضر الذى اتخذ شكل قوس فوق المياه المظلمة الهائجة.

وعندما هدأت المياه سمعت صوت موسيقى منخفضًا.

كان جميلاً وبه نبرة حزن وكأنه يصفر ويدندن فى آن واحد.

صوته مثل صوت الحوت ولكن هذا الكائن كان أصغر بكثير من الحوت.

تحرك الذيل الأخضر هنا وهناك، ثم رفع المخلوق رأسه.

كان الرأس به شعر أشقر طويل.

إنها عروس البحر!

١٤

ونسيت آلام الحروق بينما كنت أنظر إليها وهى تتمايل فى المياه.

ولدهشتى، بدت عروس البحر تمامًا كما وصفها الأشخاص الذين جاءوا من حديقة الحيوان. كان رأسها وكتفاها أصغر منى ولكن ذيلها اللامع الأخضر كان طويلاً وقويًا، أما عيناها فواسعتان، لونهما أخضر وتلمعان، وجلدها لونه وردى فاتح.

نظرت إليها محدقًا وعجزت عن الكلام.

إنها حقيقية! وجميلة جدًا!

وأخيرًا وجدت صوتى وقلت:

«أنتِ... أنتِ أنقذتِنى» وتلعثمت ثم قلت:

«أنتِ أنقذتِ حياتى. شكرًا لك».

نظرت بعينيها إلى أسفل فى خجل وأصدرت صوتًا من شفتيها الورديتين.

يا تُرى، ماذا كانت تحاول أن تقول؟

ثم سألتها:

«ماذا أستطيع أن أفعل لكِ فى المقابل؟ سأفعل كل ما فى وسعى».

ابتسمت وأصدرت صوت همهمة خفيفة.

كانت تحاول أن تكلمنى. كم تمنيت لو استطعت أن أفهمها.

أمسكت يدى ونظرت إليها ثم تجهمت عندما رأت الحروق الحمراء التى سببتها الشُّعب النارية. كانت يداها باردتين وعندما مررتهما على راحة يدى بدأ الألم من الحروق يقل شيئًا فشيئًا.

صحت: «يااه»، لابد أننى بدوت فى غاية الغباء وأنا أصيح هكذا ولكننى لم أعرف ماذا أقول غير ذلك.

فلمستها، كانت كالسحر، وعندما أمسكت بيدى كنت أستطيع أن أسبح بغير أن أصطدم بالمياه. تمامًا كما فعلت هى.

هل كان ذلك حلمًا آخر؟

أغمضت عينى وفتحتها مرة ثانية.

كنت لا أزال أسبح فى المياه وأنظر إلى عروس البحر ذات الشعر الأشقر.. لا، لم يكن هذا حلمًا.

ابتسمت مرة أخرى وحركت رأسها ثم أصدرت هذه الأصوات الغنائية المنخفضة.

لم أستطع أن أصدق أنه منذ دقائق قليلة مضت كنت أصارع بشراسة سمك القرش المتوحش.

رفعت رأسى وبحثت فى المياه، كان القرش قد اختفى. وأصبحت المياه هادئة تتلألأ مثل الذهب تحت شعاع شمس الصباح.

هأنذا أسبح فى البحر بعيدًا عن جزيرة معزولة ومعى عروس بحر حقيقية.

وقلت لنفسى: لن تصدق شينا هذا مطلقًا ولا بعد مليون سنة.

وفجأة، حركت عروس البحر ذيلها واختفت تحت المياه.

أُصبت بالفزع وبحثت عنها فى كل مكان. لقد تركتنى بغير أثر نهائيًّا ـ لا فقاعة ولا حركة فى المياه.

فركت عينى وبحثت عنها مجددًا. لم يكن هناك أثر لها وكان هناك القليل من السمك الصغير يندفع خلفى.

لقد اختفت فجأة وبدأت أظن أننى كنت أحلم.

عندئذ، شعرت بقرصة فى قدمى.

صرخت: «آه»، وأبعدت نفسى بسرعة. تملكنى الفزع. تُرى، هل عاد القرش؟!

ولكننى سمعت خلفى صوتًا فى المياه وقهقهة كالصفارة ،واستدرت فوجدت عروس البحر تبتسم بشقاوة وحركت أصابعها وكأنها تقرصنى.

ضحكت فى ارتياح وقلت: «أكنتِ أنت؟ أنت أسوأ من أختى الصغيرة».

صفرت مرة أخرى وحركت ذيلها على سطح المياه.

وفجأة، رأيت ظلاً مظلمًا على وجهها. رفعت عينى لأرى ما هذا.

ولكن فات الأوان.

نزلت علينا شبكة كبيرة. حركت يدى وقدمى فى ذعر ولكنها تعقدت أكثر فى الحبل.

أحكمت الشبكة حولنا نحن الاثنين وسقطنا بها معًا.

حاولنا أن نقاوم ولكن بلا فائدة؛ فلقد أخذتنا الشبكة لأعلى.

اتسعت عينا عروس البحر وصرخت فى رعب:

«آ ى ى ى ى ى».

كانوا يرفعوننا من المياه.

«آ ى ى ى ى ى».

ارتفع صراخها كالسارينة وغطت على صرختى الضعيفة؛ طلبًا للنجدة.

١٥

بيلى: «لا أستطيع أن أصدق ذلك!».

نظرت من خلال فتحات الشبكة ورأيت دكتور دى وشينا.

كانا يجاهدان لرفعنا على الزورق.

نظرت شينا إلى عروس البحر فى ذهول.

اتسعت عينا دكتور دى وفتح فمه.

ثم قال: «لقد وجدتها يا بيلى! أنت فعلاً وجدت عروس البحر!».

صحت قائلاً: «فقط أخرجونى من هذه الشبكة فلسبب ما لم أعد أشعر بالسعادة لصيد عروس البحر».

وقال دكتور دى لنفسه: «إذن الأشخاص من حديقة الحيوان كانوا على حق، إن هذا شىء لا يصدق، إنه مدهش، إنه تاريخى...».

نزلنا كالكومة على أرضية الزورق.

كانت عروس البحر تصيح بجانبى فى الشبكة وتصدر أصواتًا حادة وغاضبة.

نظر إليها دكتور دى بتمعن ولمس ذيلها.

كانت عروس البحر تضرب بقوة فى أسفل الزورق.

وتساءل دكتور دى بصوت مرتفع: «أيمكن أن تكون هذه خدعة بأى حال من الأحوال؟».

وتساءلت شينا فى شك: «بيلى. أهذه أحد ألاعيبك الغبية؟».

قلت: «إنها ليست خدعة، والآن هل ستخرجونى من هذه الشبكة؟ فالحبال مغروسة فى جلدى».

ولكنهم تجاهلونى.

وضعت شينا أحد أصابعها على الشبكة ولمست قشور ذيل عروس البحر. وقالت: «لا أستطيع أن أصدق. إنها فعلاً حقيقة».

صحت قائلاً: «بالطبع هى حقيقة! وأنا أيضًا حقيقة وكلانا يشعر بعدم الارتياح!».

قالت شينا: «من الصعب أن أصدق شيئًا مما تقوله أنت. ففى النهاية أنت تتحدث عن وحش البحر منذ أن وصلنا إلى هنا».

صحت قائلاً: «أنا فعلاً رأيت وحش البحر!».

فقال دكتور دى: «هدوء أيها الأولاد، فلنأخذ اكتشافنا إلى المعمل».

ثم بدأ يحرك الزورق واتجهنا إلى المركب.

كان ألكسندر يقف على ظهر المركب فى انتظارنا وصاح فى شغف: «إنها فعلاً حقيقة! إنها حقًا عروس البحر!».

ربطت شينا الزورق بجانب «كاسندرا» بينما قام دكتور دى وألكسندر برفعى أنا وعروس البحر على ظهر المركب.

فتح دكتور دى الشبكة وساعدنى على الخروج منها.

حركت عروس البحر ذيلها فعلقت أكثر داخل الشبكة.

صافحنى ألكسندر وقال: «أنا فخور بك يا بيلى. كيف فعلت هذا؟ هذا مذهل».

وربت على كتفى بقوة وهو يقول: «هل تدرك أن ذلك هو أعظم اكتشاف فى المحيط خلال هذا القرن وربما على مر القرون؟».

فقلت: «أشكرك ولكننى لم أفعل شيئًا، لم أجدها، هى التى وجدتنى».

كانت عروس البحر تقفز بقوة على ظهر المركب. وكانت صرخاتها تعلو وخوفها يزداد.

تغير وجه ألكسندر وقال فى اهتمام شديد: «يجب أن نفعل لها شيئًا».

فقلت: «يجب أن نحررها يا دكتور دى فهى تحتاج أن تكون فى المياه».

فقال ألكسندر: «سوف أملأ الحوض الكبير بمياه البحر يا دكتور دى».

ثم أسرع ليملأ الحوض.

فقال دكتور دى: «لا نستطيع أن نتركها الآن يا بيلى. ليس قبل أن ندرسها أولاً. كانت عيناه تلمعان من شدة الاستثارة وعندما شعر أننى مُستاء قال: «لن نؤذيها يا بيلى، سوف تكون على ما يرام».

نظر إلى قدمى وعبس ثم انحنى ليراها.

وقال: «أنت تنزفْ يا بيلى. هل أنت بخير؟».
قلت: «أنا بخير ولكن عروس البحر ليست كذلك».
تجاهلنى.
وسألنى دكتور دى: «كيف حدث هذا؟».
قلت له: «جذب القرش قدمى وبينما كان على وشك أن يفترسنى ظهرت عروس البحر. لقد أنقذت حياتى. كان يجب أن تراها وهى تصارع القرش».
التفت دكتور دى إلى عروس البحر كأنه يراها لأول مرة.
وقالت شينا: «ياه! هل صارعت القرش؟ ووحدها؟».
كان ذيل عروس البحر الأخضر ينتفض بقوة على ظهر المركب صاحت: «آ ى ى ى ى» بدا صوتها وكأنها تصرخ.
صرخت قائلاً: «انس أمر قدمى. يجب أن تدع عروس البحر تذهب!».
وقف دكتور دى وهو يحرك رأسه وقال: «أنا عالم يا بيلى. وعروس البحر اكتشاف مذهل. إذا تركتها فسوف أخذل مجتمع العلماء بأكمله. بل سوف أخذل العالم كله».
فقلت: «أنت فقط تريد المليون دولار».
كنت أعلم أن هذا قاسٍ. ولكننى لم أستطع أن أمنع نفسى.
كرهت رؤية عروس البحر وهى فى غاية التعاسة.
بدا على دكتور دى أنه مجروح.
وقال: «هذا ليس عدلاً يا بيلى. أعتقد أنك تعرفنى أكثر من هذا».

تحاشيت النظر إليه. خفضت رأسى وتظاهرت أننى أنظر إلى جرح قدمى. لم يكن عميقًا لهذه الدرجة وكان ألكسندر قد أعطانى شاشًا فوضعته على الجرح.
واستطرد دكتور دى قائلاً: «أنا فقط أحتاج المال لكى أستكمل أبحاثى ولن أستخدم عروس البحر مطلقًا لأصبح ثريًا».
كان هذا صحيحًا. كنت أعلم أن دكتور دى لا يهتم بالمال لنفسه.
كل ما أراده هو أن يظل يدرس الأسماك.
وقال بشغف: «فلتفكر فى الأمر يا بيلى. لقد وجدت عروس البحر! المخلوق الذى ظننا جميعًا أنه غير موجود! لا نستطيع أن نتركها تذهب فحسب ينبغى أن نعرف القليل عنها».
لم أقل شيئًا.
«لن نؤذيها يا بيلى. أعدك».
عاد ألكسندر وقال: «الحوض جاهز يا دكتور دى».
قال دكتور دى: «شكرًا» ثم تبعه للجانب الآخر من المركب.
نظرت إلى شينا لأرى فى أى جانب هى؟ هل تريد أن تحتفظ بعروس البحر؟ أم تريد أن تطلقها؟
ولكن شينا وقفت هناك تتفرج فقط. بدا على وجهها التوتر.
تأكدتُ أنها لم تكن تعرف أى منا على حق.
ولكننى عندما نظرت إلى عروس البحر علمت أننى على حق.
الآن توقفت عروس البحر عن نفض ذيلها. كانت ترقد فى هدوء على ظهر المركب والشبكة فوقها. كانت

تتنفس بصعوبة وتنظر إلى المحيط بعينين حزينتين تملأهما الدموع.

تمنيت لو أننى لم أحاول أن أعثر عليها منذ البداية. الآن كل ما أردته هو أن أجد طريقة ما لأساعدها على العودة إلى ديارها.

عاد دكتور دى وألكسندر مرة أخرى. قاما بدفع عروس البحر وهى فى الشبكة فرفع ألكسندر ذيلها بينما أمسك دكتور دى برأسها.

وقال دكتور دى وهو يطمئنها: «لا تتحركى يا عروس البحر. اهدئى».

بدت عروس البحر وكأنها تفهم. لم تنتفض. ولكن عيناها كانتا تتحركان وكانت تصدر آهات منخفضة.

حملها دكتور دى وألكسندر إلى الحوض الزجاجى الكبير الذى استقر الآن على ظهر المركب وكان ممتلئًا بمياه البحر النقية ثم وضعوها بلطف فى الحوض وأخذوا الشبكة بعيدًا، بينما انزلقت هى فى المياه.

ثم وضعوا غطاءً على الحوض وأحكموا إغلاقه.

حركت عروس البحر ذيلها فى الماء، وبالتدريج توقفت عن الحركة، وهدأت واستقر جسدها بلا حراك فى قاع الحوض.

لم تكن تتحرك أو تتنفس.

خرجت صيحة غضب من بين شفتى وقلت: «لا. لقد ماتت إنها ماتت. لقد قتلناها».

١٦

تحركت شينا إلى الجانب الآخر من الحوض ونادت علىّ قائلة: «انظر يا بيلى!».

فأسرعت نحوها؛ فقالت وهى تشير بيدها: «لم تمت عروس البحر، انظر إنها تبكى أو تفعل شيئًا من هذا القبيل».

كانت أختى على حق. فقد نزلت عروس البحر إلى قاع الحوض ووضعت وجهها فى يديها.

سألت: «وماذا نفعل الآن؟».

لم يجب أحد.

وقال عمى وهو يمسح بيديه على ذقنه وعينيه على الحوض: «يجب أن نجد طريقة ما لإطعامها».

وسألت: «هل تعتقد أنها تأكل كالسمك أو كالبشر!».

فقال ألكسندر: «فقط إذا كانت تستطيع أن تقول لنا، إنها لا تستطيع أن تتكلم. أليس كذلك يا بيلى؟».

فقلت: «لا أعتقد هذا. إنها فقط تصدر أصواتًا؛ صفيرًا وطقطقة وهمهمة».

فقال ألكسندر: «سأذهب إلى المعمل لأجهز بعض الأدوات. فربما نستطيع أن نعرف شيئًا عنها باستخدام الشاشة الصوتية».

فقال دكتور دى وهو يفكر: «إنها فكرة جيدة» أسرع ألكسندر إلى أسفل ثم قال دكتور دى: «أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب إلى سانتا أنيتا لأحضر بعض الحاجات».

سانتا أنيتا هى أقرب جزيرة مأهولة بالسكان.

وأضاف: «سوف أشترى كل أصناف الطعام، ونستطيع أن نجرب حتى نعرف فى النهاية أى الأصناف تحب. هل تريدان شيئًا أنتما الاثنان من هناك؟».

فقالت شينا بسرعة: «ما رأيك لو أحضرت لنا زبدة الفول السودانى فمن المستحيل أن يفسد ألكسندر ساندوتش الفول السودانى».

أومأ دكتور دى برأسه وهو يركب الزورق.

وقال: «حسنًا سأحضر زبدة الفول السودانى. أتريدان شيئًا آخر؟ هل تريد شيئًا يا بيلى؟».

هززت رأسى.

فقال دكتور دى: «حسنًا. سأعود بعد ساعات قليلة».

قام بتشغيل محرك الزورق وانطلق متجهًا إلى سانتا أنيتا.

قالت شينا وهى تشتكى: «إن الجو فى غاية الحرارة. سأذهب إلى كابينتى لبعض الوقت».

وقلت: «حسنًا» وعيناى على عروس البحر.

كان الجو حارًا على ظهر المركب. لم يكن هناك نسمة هواء وكانت شمس الظهيرة البيضاء شديدة الحرارة تحرق وجهى.

ولكننى لم أستطع أن أترك ظهر المركب. لم أستطع أن أترك عروس البحر. رأيتها تسبح خلف الزجاج وذيلها الطويل خلفها.

عندما رأتنى وضعت يديها ووجهها على الزجاج وأصدرت صوتًا حزينًا.

لوَّحت لها من خلال الزجاج.

كانت تهمهم وتحدث صوتًا منخفضًا. فهى تحاول أن تتواصل معى.

استمعت إليها محاولاً أن أفهم.

وسألتها: «هل أنت جائعة؟».

نظرت إلىَّ فى دهشة.

فكررت السؤال مرة أخرى وأنا أحرك يدى على بطنى: «هل أنت جائعة؟ افعلى هذا إذا كانت إجابتك: نعم وحركت لها رأسى إلى أعلى وأسفل. وافعلى هذا إذا كانت إجابتك: لا. وحركت رأسى إلى اليمين واليسار».

توقفت وانتظرت لأرى ماذا ستفعل.

حركت رأسها بنعم.

فقلت: «نعم. هل أنت جائعة؟».

فحركت رأسها بلا.

فقلت: «لا. هل أنت غير جائعة؟».

حركت رأسها بنعم ثم حركتها بلا.

هى فقط تقلدنى. فهى لا تفهم.

أخذت خطوة إلى الوراء ونظرت إليها فى الحوض.

فكرت.. إنها صغيرة وإنها تشبهنى كثيرًا، وهذا يعنى أنها لابد أن تكون جائعة.

وربما تحب أن تأكل مما أحب أن آكله. صحيح؟

ربما الأمر يستحق المحاولة.

أسرعت إلى المطبخ. فتحت الدولاب وأخذت علبة من بسكويت الشيكولاتة. حسنًا. إنها ليست مأكولات بحرية. ولكن من لا يحب بسكويت الشيكولاتة!

أخذت بعضًا من البسكويت ووضعت العلبة داخل الدولاب.

ومر ألكسندر وهو فى طريقه إلى ظهر المركب، كان يحمل فى يديه بعض الأدوات.

وسألنى: «هل ستتناول وجبة خفيفة؟».

فأجبت: «إنها لعروس البحر. هل تعتقد أنها ستحبها؟».

حرك كتفيه العريضتين وقال: «من يعلم».

تبعنى إلى ظهر المركب وهو يحمل أدواته.

وسألته: «ما كل هذه الأشياء؟».

فأجاب ألكسندر: «أعتقد أننا نستطيع أن نجرى بعض الاختبارات على عروس البحر لنرى ماذا يمكن أن نعرف عنها. ولكن اذهب وأطعمها أولاً».

فقلت: «حسنًا. أنا فى طريقى».

حملت البسكويت إلى الزجاج ونظرت إلى عروس البحر وعرفت أنها لا تعلم ما هذا.

قلت: «مم لذيذ!» وكنت أحرك يدى على بطنى.

فوضعت عروس البحر يديها على بطنها تقلدنى.

ونظرت إلىَّ فى دهشة بعينيها الخضراوين.

وهنا وصل ألكسندر وأزال الغطاء فأعطيته البسكويت ووضعه فى الحوض.

نظرت عروس البحر إلى قطعة البسكويت وهى تسقط نحوها فى المياه. ولكنها لم تبذل أى محاولة لالتقاطها.

وعندما وصلت إليها كانت مبتلة وتكسرت داخل الحوض.

فقلت: «ياى! حتى أنا لا أستطيع أن آكلها الآن».

وأزاحت عروس البحر البسكويت المبتل جانبًا.

قال ألكسندر: «ربما سيكون مع دكتور دى شيئًا تحبه عندما يعود».

فقلت: «أتمنى ذلك».

بدأ ألكسندر يضع أدواته فوضع الترمومتر داخل الحوض ووضع أيضًا عددًا من الأنابيب البلاستيكية البيضاء.

لكن ألكسندر قال متذمرًا وهو يحرك رأسه: «لقد نسيت دفتر ملاحظاتى». وأسرع مرة أخرى إلى المعمل.

نظرت إلى عروس البحر وهى تسبح بحزن فى الحوض الذى امتلأ بالأنابيب. ذكرتنى بالسمك الموجود فى المعمل.

وتذكرت أنها ليست سمكة وأنها يجب ألا تعامل بهذه الطريقة.

وتذكرت كيف صارعتِ القرش.

كان من الممكن أن تُقتل بسهولة، ولكنها مع ذلك حاربت القرش لكى تساعدنى.

كانت عروس البحر تبكى وشاهدتها وهى تمسح الدموع التى بدأت تتساقط على وجهها.

إنها تبكى مرة أخرى. شعرت بالذنب والتعاسة، فهى تتوسل إلىَّ.

وضعت وجهى على الزجاج واقتربت منها بأقصى ما يمكننى.

وفكرت أننى يجب أن أساعدها.

وضعت إصبعى على شفتى وقلت: «هش». وهمست لها: «ابقى هادئة يجب أن أعمل شيئًا بسرعة».

كنت أعلم أننى على وشك أن أفعل شيئًا يجعل دكتور دى فى غاية الغضب.

وربما لن يغفر لى عمى ذلك على الإطلاق. ولكننى لم أهتم.

كنت أنوى أن أفعل ما أعتقد أنه صواب.

كنت أنوى أن أحرِّر عروس البحر.

١٧

كانت يداى ترتعشان وأنا أحاول إزالة الغطاء من أعلى الحوض. فالحوض أطول منى. ولم أكن أعرف كيف سأخرج عروس البحر من هناك.

ولكن كان يجب علىَّ أن أجد طريقة.

وبينما كنت أحاول جاهدًا أن أرفع الغطاء بدأت عروس البحر تصرخ: «آ ى ى ى».

فحذرتها قائلا: «لا تصدرى أى صوتٍ».

ثم شعرت بيد تمسكنى من ذراعى فوقفت مذهولاً.

وسألنى صوت رخيم: «ماذا تفعل؟».

استدرت فرأيت ألكسندر واقفًا خلفى.

ابتعدت عن الحوض فترك ذراعى.

وسألنى مجدَّدًا: «ماذا تفعل يا بيلى؟».

فصحت قائلاً: «كنت أنوى أن أحررها يا ألكسندر. فلا نستطيع أن نتركها هناك! انظر كيف تشعر بالتعاسة!».

نظر كلانا إلى عروس البحر التى كانت قد نزلت إلى أسفل الحوض. أعتقد أنها عرفت أننى كنت أحاول أن أساعدها، وأننى توقفت.

لمحت الحزن على وجه ألكسندر. ورأيت أنه شعر بالأسى من أجلها.

ولكن كان هذا عمله ويجب أن يقوم به.

استدار نحوى ووضع يده حول كتفى ثم قال: «يجب عليك أن تفهم يا بيلى الأهمية التى تمثلها عروس البحر لعمك. فلقد عمل طيلة حياته من أجل اكتشافٍ كهذا. وسوف ينفطر قلبه إذا حررتها».

وببطء أخذنى بعيدًا عن الحوض. نظرتِ خلفى إلى عروس البحر مرة أخرى وسألته: «ولكن ماذا عن قلبها هى؟ أعتقد أن قلبها ينفطر لأنها محبوسة فى حوض السمك هذا».

وتنهد ألكسندر وقال: «إن هذا الحوض ليس مثاليًا. وأنا أعلم ذلك، ولكنه مكان مؤقت فقط. فعمَّا قريب سيكون لها مكان كبير لتسبح وتلعب فيه».

قلت لنفسى فى حزن: بالتأكيد فسوف تكون معروضة فى حديقة الحيوان وملايين البشر يحدقون إليها كل يوم.

وأزاح ألكسندر يده من على ذراعى ووضع يده على ذقنه.

ثم قال: «إن عمك رجل فى غاية الرحمة يا بيلى. سوف يبذل قصارى جهده لكى يضمن أن عروس البحر لديها كل ما تحتاجه. ولكن واجبه يحتم عليه أن يقوم بدراستها. فالأشياء التى سيتعلمها منها ستمكن الناس من فهم المحيطات بطريقة أفضل وبالتالى سوف يعطونها عناية أفضل. أليس هذا مهمًا؟».

قلت: «أعتقد ذلك».

كنت أعلم أن وجْهَة نظر ألكسندر صحيحة. فلقد أحببت دكتور دى ولم أشأ أن أفسد عليه اكتشافه الكبير.

ولكن مع ذلك ليس على عروس البحر أن تعانى من أجل العلم.

قال ألكسندر وهو يأخذنى إلى أسفل المركب: «هيا يا بيلى. فأنا وعدتك أن أريك كيف تعمل المجسات الصوتية. أليس كذلك؟ فلنذهب إلى المعمل لكى ترى تطبيقًا عمليًا».

وبينما نحن نستعد للنزول إلى أسفل نظرت نظرة سريعة إلى عروس البحر، كانت لاتزال تجلس حزينة فى أسفل الحوض ورأسها إلى أسفل بينما يتهدَّل شعرها الأشقر على رأسها وكأنه أعشاب البحر.

لم تكن المجسات الصوتية ممتعة كما توقعت. فكل ما كانت تفعله هو أن تصفر كلما تعرضت «كاسندرا» لخطر الجنوح إلى الشاطئ.

ولكن ألكسندر أحس أننى لم أكن مهتمًا بالمجسات الصوتية فقال: «أتريد أن تتناول الغداء؟».

آه الغداء. كنت جائعًا ولكن لا أريد ساندوتش سلطة الدجاج.

وترددت قائلاً: «حسنًا لقد تناولت إفطارًا كبيرًا...».

فقال ألكسندر: «سأجهز شيئًا مميزًا، ويمكننا أن نقوم بنزهة على ظهر المركب مع عروس البحر؛ هيا بنا».

وماذا كان عساى أن أفعل؟ تبعته إلى المطبخ.

فتح الثلاجة الصغيرة وأخذ منها سلطانية كبيرة وقال: «تركته فى الملح طوال الصباح». نظرت إلى السلطانية، فقد كانت تحتوى على رقائق رفيعة لشىء أبيض اللون ومطاطى الشكل وكانت مغموسة فى سائل زيتى لونه رمادى غامق.

ولكننى كنت أعلم أننى لن أستطيع أن أتناوله.

فقال ألكسندر: «إنه حبار مملح وأضفت له بعضًا من زيت الحبار ليعطيه مذاقًا أفضل. وهذا ما جعل لونه رماديًّا».

وقلت وأنا أحرك عينى: «يا سلام! لم أتناول زيت الحبار منذ أيام!».

فأجاب ألكسندر: «لا تسخر. فقد تندهش». ثم أعطانى السلطانية وقال: «خذ هذه إلى ظهر المركب. سوف أحضر الخبز والشاى المثلج؟».

حملت سلطانية الحبار ووضعتها بالقرب من حوض عروس البحر وسألتها: «كيف حالك يا عروس البحر؟».

حركت ذيلها قليلاً ثم فتحت فمها وأغلقته وكأنها تمضغ شيئًا.

فقلت: «أنت جائعة. أليس كذلك؟».

ظلت تقوم بحركة المضغ هذه. فنظرت إلى سلطانية الحبار وقلت فى نفسى: «من يعلم، ربما يكون هذا هو ما تحبه بالضبط».

وقفت على السور وغطاء الحوض ثم ألقيت فيه قطعة من الحبار المطاطى.

قفزت عروس البحر إليه وأخذته فى فمها.

مضغته ثم ابتسمت.

لقد أحبته!

أعطيتها المزيد فأكلته.

حركت يدى على بطنى وقلت: «هل أعجبك؟» وأومأت برأسى بعلامة نعم.

ابتسمت مرة أخرى وأومأت بنعم.

إنها تفهمنى!

وسألنى ألكسندر: «ماذا تفعل يا بيلى؟» كان قد صعد على ظهر المركب وهو يحمل طبقين ورغيفَ خبز.

فصحت قائلاً: «انظر يا ألكسندر! لقد تواصلنا!».

ألقيت قطعة أخرى من الحبار فى الحوض. أكلتها ثم أومأت بنعم.

وقلت: «هذا يعنى أنها أحبته!».

تمتم ألكسندر قائلاً: «ياه» ثم وضع الأطباق بعيدًا وأخذ دفتر ملاحظاته ثم دون به بعض الملاحظات.

وقلت: «أليس هذا جميلاً؟ فأنا أيضًا عالم، ألست كذلك يا ألكسندر؟».

أومأ برأسه واستمر فى الكتابة.

فألحت قائلاً: «أعنى أننى أول شخص على وجه الأرض يتواصل مع عروس البحر. أليس كذلك؟».

وقال ألكسندر: «إذا ما بقيت معنا مدة كافية فربما نستطيع أن نتواصل معها باستخدام لغة الإشارة. فكر فقط فى الأشياء التى يمكن أن نتعلمها!».

كان يتكلم بصوت مرتفع وهو يكتب: «تحب أن تأكل الحبار».

ثم وضع القلم جانبًا وقال: «انتظر. لقد كان هذا هو غذاؤنا!».

يا خبر! أتمنى ألا أكون قد آذيت مشاعره.

نظر إلىَّ ثم نظر إلى الطبق ثم نظر إلى عروس البحر وبدأ يضحك وقال: «على الأقل هناك من أحب طبخى!».

بعد حوالى ساعة عاد دكتور دى ومعه البقالة والاحتياجات اللازمة لنا. ولحسن الحظ أنه اشترى الكثير من الأطعمة البحرية من سانتا أنيتا.

وضعنا بعضًا منها لعروس البحر على العشاء. وبينما كانت تأكل كان دكتور دى يفحص التسجيلات على العدادات التى وضعها ألكسندر فى الحوض.

وعلق دكتور دى قائلاً: «هذا مثير. فهى تصدر إشارات صوتية من خلال المياه تمامًا كما تفعل الدلافين».

وسألت شينا: «وما معنى هذا؟».

فأجاب دكتور دى: «هذا يعنى أنه من المحتمل أن يكون هناك عرائس بحر كثيرة مثلها. فحتمًا هى تحاول أن تتواصل معهنَّ بأصوات تحت المياه».

مسكينة يا عروس البحر. فهى تنادى على أصحابها وتتمنى أن ينقذها أحد.

ذهبت إلى كابينتى بعد العشاء ونظرت من خلال النافذة.

كانت الشمس بلونها البرتقالى تنزل شيئًا فشيئًا إلى الأفق الوردى.

وكست سجادة عريضة من الضوء الذهبى مياه المحيط.

وهبت نسمة باردة من خلال النافذة.

رأيت الشمس وهى تسقط فى المحيط، وأظلمت السماء فى الحال.

وكأن أحدًا قد أطفأ المصباح.

فكرت أن عروس البحر وحدها هناك. لابد أنها فى غاية الفزع فهى سجينة، محبوسة فى حوض سمك فى الظلام.

وفجأة انفتح باب كابينتى وجاءت شينا مسرعة تلهث وعيناها مفتوحتان.

فوبختها فى غضب: «كم مرة طلبت منك أن تطرقى على الباب أولاً يا شينا».

فتجاهلتنى وقالت وهى تلهث: «ولكن يا بيلى! لقد هربت! هربت عروس البحر».

١٨

قفزت من على سريرى وقلبى يخفق.

صاحت شينا: «إنها ليست هناك. إنها ليست فى الحوض».

أسرعت خارج الكابينة إلى الباب الخلفى ثم صعدت على ظهر المركب.

جزء منى كان يتمنى لو كانت قد هربت فعلاً إلى الحرية، والجزء الآخر كان يتمنى لو بقيت إلى الأبد حتى تجعل من عمى أشهر عالم فى هذه الدنيا، وتجعل منى أشهر ابن أخ لعالم!».

تمنيت أن تكون بخير.

كان ظلام المساء قد ساد على ظهر المركب بينما كانت الأضواء الخافتة تتوهج حولها.

نظرت وأنا على ظهر المركب إلى حوض السمك العملاق.

ركضت بسرعة شديدة وكدت أن أسقط من على ظهر المركب.

وكانت شينا خلفى مباشرة.

صحتِ عندما رأيت عروس البحر تسبح بتثاقل فى المياه وذيلها الأخضر يسبح خلفها ويلمع لمعانًا ضعيفًا تحت الأضواء الخافتة.

استغرقت بضع دقائق لإدراك أن شينا كانت تمزح.

وصاحت فى فرح: «نلت منك يا بيلى! نلت منك مرة أخرى».

تأوهت آهة طويلة أمام حيلة أخرى من حيل شينا الغبية».

وقلت فى أسى: «إنها حيلة جيدة يا شينا وفى منتهى الذكاء».

فردت قائلة: «أنت حزين لأننى خدعتك مرة أخرى؟ فمن السهل جدًا خداعك».

رفعت عروس البحر رأسها ونظرت إلىَّ بعينيها، ثم علت ابتسامة باهتة على شفتيها وسمعت صوتها: «لوورررروو.. لووررروو..».

قالت شينا: «إنها حقًا جميلة».

كانت عروس البحر تتمنى أن أدعها تذهب الآن. ربما يجب أن...

قررت أن أجعل شينا تساعدنى. فسيكون الأمر أسهل لو اشتركنا معًا.

ولكن هل ستتعاون معى أختى؟ وبدأت أفاتحها قائلاً: «شينا...».

ولكننى سمعت صوت أقدام خلفى. كان دكتور دى: «هيا أيها الأولاد، لقد حان وقت النوم تقريبًا. هل أنتما مستعدان للنزول!».

فردت شينا: «نحن لا نخلد إلى النوم مبكرًا هكذا فى المنزل».

«ربما لا ولكن أراهن أنكما لا تستيقظان مبكرًا هكذا فى المنزل. أليس كذلك؟».

هزت شينا رأسها. ووقفنا جميعًا فى صمت ونظرنا إلى عروس البحر فى الحوض. حركت ذيلها وراءها حركة خفيفة ثم استقرت فى أسفل الحوض.

وطمأننى دكتور دى: «لا تقلق بشأنها سأراقبها طوال الليل لأتأكد أنها بخير».

وضعت عروس البحر يديها الصغيرتين على زجاج الحوض وكانت عيناها تتوسلان إلينا لنطلق سراحها.

وقال دكتور دى: «بمجرد أن تصل إلى حديقة حيوان مارينا سوف تشعر بتحسن. فهم يبنون مستنقعًا خاصًا لها به شُعب، وكل شىء سيكون بالضبط كالمستنقع الموجود خارج إيلاندرا. عندئذ ستشعر بالحرية لتسبح وتلعب وسيتملكها الإحساس أنها فى بيتها».

تمنيت ذلك ولكننى لم أكن متأكدًا من صحته.

تمايلت «كاسندرا» بلطف على الأمواج تلك الليلة، ولكننى لم أستطع النوم، رقدت على سريرى أحدق فى السقف. وتسلل ضوء القمر الخفيف من خلال النافذة وعبر وجهى. لم أستطع أن أكف عن التفكير فى عروس البحر.

حاولت أن أتخيل كيف يكون شعورك عندما تظل محبوسًا طوال اليوم فى حوض زجاجى.

ربما الأمر ليس مختلفًا عن البقاء محبوسًا فى مثل هذه الكابينة الصغيرة.

هذا ما ظننته وأنا أنظر حولى. فكابينتى كانت فى حجم الدولاب.

إن الأمر سيكون بشعًا: هذا ما ظننته وأنا أعبث بياقة منامتى.

فتحت النافذة لأسمح بمزيد من الهواء.

وربما لن يكون حوض السمك أسوأ ما فى الأمر. فدكتور دى يعرف كيف يعتنى بعروس البحر وأعلم أنه لن يتسبب فى ضرر لها مطلقًا.

ولكن ماذا سيكون مصيرها عندما يستلمها الأشخاص فى حديقة الحيوان؟

من سيعتنى بها؟

أنا متأكد أنهم يبنون لها مستنقعًا خياليًا مذهلاً. ولكنه لن يكون كالمستنقع الحقيقى. وسيتزاحم عليها الناس يتفرجون عليها طوال الوقت وربما يطلبون منها أن تؤدى بعض الألعاب كأن تقفز بالأطواق كما يفعل كلب البحر المدرب.

ربما أيضًا يظهرونها فى الإعلانات والبرامج والأفلام التليفزيونية.

ستكون سجينة. سجينة ووحيدة لبقية حياتها.

فالذنب كله ذنبى. كيف سمحت لهذا أن يحدث؟

قررت أننى يجب أن أفعل شيئًا فلا أستطيع أن أدعهم يأخذونها.

فى هذه اللحظة سمعت صوتًا ضعيفًا. مكثت فى مكانى وأصغيت جيدًا.

فى البداية ظننتها عروس البحر. ولكننى أدركت سريعًا أنه صوت محرك، سمعته من بعد. وبدأ الصوت يقترب شيئًا فشيئًا.

إنه صوت مركب.

جلست فى مكانى ونظرت من خلال النافذة.

وجاءت مركب كبيرة ووقفت بجانب «كاسندرا».

من هم؟ هل هم الأشخاص الذين من حديقة الحيوان؟

وفى منتصف الليل!

لا، لم تكن نفس المركب. فهذه أكبر بكثير.

وبينما أنا أنظر من النافذة رأيت شخصين فى الظلام يتسللان على ظهر «كاسندرا». ثم تبعهم اثنان آخران وبدأت دقات قلبى تتسارع. من هم هؤلاء الأشخاص؟ وماذا يفعلون؟

ماذا ينبغى أن أفعل؟

هل أتسلل وأتجسس عليهم؟ ولكن ماذا لو رأونى؟

ثم سمعت المزيد من الأصوات الغريبة.

سمعت صوت ارتطام ثم صوت صرخة ألم.

جاءت من فوق ظهر المركب.

ظهر المركب حيث عروس البحر حبيسة لا حول لها ولا قوة داخل الحوض.

سرت رعشة ذعر داخلى. وقلت لنفسى: «لا! إنهم يؤذون عروس البحر!».

١٩

أسرعت إلى ظهر المركب وجاءت شينا تركض ورائى.

تعثرت فى حبل المركب فأمسكت بالسور لأستعيد توازنى. ثم هرولت مسرعًا إلى حوض السمك.

كانت عروس البحر مستقرة فى قاع الحوض وقد لفت ذراعيها حولها وكأنها تحمى نفسها.

ثم رأيت أربعة رجال يقفون فى توتر بالقرب من الحوض. وقد ارتدى الأربعة ملابس سوداء وغطوا وجوههم بأقنعة سوداء.

كان أحدهم يمسك بمطرقة فى يده.

ثم رأيت جسدًا ملقى على الأرض ووجهه إلى أسفل.

إنه دكتور دى!

صرخت شينا وجرت نحو عمنا. انحنت بجانبه وصرخت: «لقد ضربوه على رأسه وأفقدوه الوعى!».

قلت لاهثًا: «من أنتم؟ وماذا تفعلون على مركبنا؟».

ولكن الأربعة تجاهلونى.

فتح اثنان منهما شبكة كبيرة.

ووضعوها على حوض السمك. ثم أنزلوها إلى الحوض فوق عروس البحر.

صرخت: «توقفوا! ماذا تفعلون؟».

فقال الرجل الذى يحمل المطرقة: «اصمت أيها الفتى» ورفع المطرقة فى وجهى يهددنى.

نظرت إليهم عاجزًا وهم يُحكِمون الشبكة بشدة حول عروس البحر.

كانوا يختطفونها!

صرخت فى رعب وبدأت تنفض يديها بقوة وتصارع لكى تحرر نفسها من الشبكة الضخمة.

فصحت: «توقفوا! اتركوها!».

ضحك أحدهم بصوت منخفض وتجاهلنى الثلاثة الآخرون.

وكانت شينا فى ذلك الوقت مستلقية بجانب دكتور دى وتحاول وهى فى شدة الخوف أن تعيده إلى الوعى.

أسرعت إلى الباب الخلفى وصرخت داخل الكابينة: «ألكسندر! ألكسندر! أنقذنا!».

كان ألكسندر قويًا وضخمًا. ربما تمكنه قوته من إيقاف هؤلاء الرجال.

أسرعت مرة أخرى إلى الحوض. كانت عروس البحر مقيدة داخل الشبكة والرجال الأربعة يحاولون رفعها من داخل الحوض. كانت تنتفض وتصرخ بأقصى قوة عندها.

ظلت تصرخ لدرجة أن صراخها قد آذى أذنى.

وهنا صاح أحدهم فى غضب: «ألا تستطيع أن تخرسها؟».

فقال الرجل الذى يحمل المطرقة فى حدة: «فقط ضعها على ظهر المركب».

صرخت: «توقفوا! لا يمكنكم أن تفعلوا ذلك!».

وبعد ذلك فقدت السيطرة على نفسى كلية.

وبدون تفكير قفزت نحو الرجال الأربعة. لم أكن أعرف ماذا أنوى أن أفعل. كل ما عرفته هو أنه كان يجب علىَّ أن أوقفهم.

دفعنى أحدهم بسهولة بعيدًا بإحدى يديه وقال: «ابتعد وإلا سنؤذيك».

فصرخت فى فزع: «دعها تذهب! دع عروس البحر تذهب!».

فرد الرجال: «انس أمر عروس البحر. فلن تراها مجددًا».

أمسكت بسور المركب. كان قلبى ينتفض فى داخلى. وكنت ألهث، لم أستطع أن أتحمل صرخات عروس البحر الخائفة.

لم أكن أستطيع أن أدعهم يأخذونها ـ ليس بدون قتال.

لقد أنقذت حياتى مرة. والآن حان دورى لأنقذها.

ولكن ماذا يمكننى أن أفعل؟

كانوا قد رفعوا عروس البحر من الحوض وحملها ثلاثة منهم فى الشبكة.

كانت تنتفض وتصرخ كالمجنونة وتقذف بالمياه فى كل أنحاء المركب.

قررت أن أتعامل معهم وأهزمهم ثم أدفع بعروس البحر إلى المحيط عندئذ ستسبح بعيدًا وتصبح فى أمانٍ.

خفضت رأسى مثل لاعب كرة القدم ثم أخذت نفسًا عميقًا وأسرعت نحوهم.

٢٠

صرخت شينا: «توقف يا بيلى».

اصطدمت بالرجل الذى يحمل الشبكة وضربته برأسى بشدة على بطنه.

وللأسف لم يتحرك الرجل من مكانه.

وإنما جذبنى بيده الأخرى التى لا يحمل بها الشبكة ورفعنى فوق ظهر المركب ثم ألقى بى فى حوض السمك.

سقطت فى المياه الدافئة ثم صعدت وأنا أختنق وأخرج المياه من فمى.

ورأيت من خلال الزجاج الرجال وقد ألقوا بعروس البحر فوق ظهر مركبهم، كانوا يهربون!

حاولت أن أخرج من الحوض ولكنه كان عميقًا جدًا. وظللت أنزلق على الزجاج المبتل غير قادر على الوصول لأعلى.

كنت أعلم أن هناك رجلاً واحدًا فقط يستطيع أن يوقف هؤلاء الرجال الملثمين. ألكسندر.

أين هو؟ ألم يسمع كل هذه الضوضاء؟

ناديت بأعلى صوتى: «ألكسندر!» ولكن حوائط الحوض الزجاجية قد حالت دون وصول الصوت.

وأخيرًا ظهر ألكسندر على ظهر المركب. رأيت رأسه الأشقر الكبير وجسده المفتول العضلات متجهًا نحوى. أخيرًا!

صرخت وأنا أحاول جاهدًا أن أبقى طافيًا على المياه داخل الحوض: «ألكسندر! أوقفهم!».

كان محرك المركب الأخرى قد بدأ فى التحرك. ورأيت الرجال الملثمين ينزلون إلى المركب الأخرى واحدًا تلو الآخر.

ترك ثلاثة منهم «كاسندرا». ولم يبق غير واحد منهم فقط.

ومن خلال الزجاج رأيت ألكسندر يجرى نحوه ويمسك بكتفه.

فقلت لنفسى: «نعم يا ألكسندر. اهزمه! اهزمه!».

لم أر ألكسندر يضرب أحدًا من قبل. ولكننى كنت أعلم أنه يستطيع أن يفعل ذلك إذا اضطر له.

ولكن ألكسندر لم يضرب الرجل الملثم وإنما سأله: «هل عروس البحر فى أمان على ظهر المركب؟».

فأومأ الرجل برأسه.

ورد ألكسندر: «هذا جيد. هل جئتنى بالمال؟».

«نعم جئتك به».

فقال ألكسندر: «حسنًا. فلنخرج من هنا!».

٢١

كنت على وشك أن أختنق من المياه.

لم أستطع أن أصدق أن ألكسندر كان يعمل مع الرجال الملثمين. فقد بدا أنه رجل طيب.

ولكنني أدركت الآن أنه قد رتب كل شيء. فمن المؤكد أنه هو الذى قال لهم: إن عروس البحر موجودة على ظهر المركب.

صرخت قائلاً: «كيف استطعت أن تفعل ذلك يا ألكسندر؟».

نظر إلىَّ من خلال الزجاج وقال وهو يهز كتفيه: «إنها مجرد تجارة يا بيلى، فحديقة الحيوان كانت ستدفع مليون دولار لتحصل على عروس البحر ولكن رؤسائى الجدد سيدفعون عشرين مليونًا!».

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال: «أنت تعرف الحساب يا بيلى. فأيهما كنت ستختار».

صحت: «أيها الفأر» وأردت أن ألكمه فى وجهه.

ثم حاولت بكل جهدى أن أخرج من الحوض. كل ما استطعت فعله هو أن أنثر المياه وأدخلها فى أنفى.

تبع ألكسندر الرجال الملثمين إلى المركب. أما أنا فسقطت يائسًا داخل الحوض الزجاجى.

ثم رأيت شينا تقف، ونظرت أسفل سطح المركب فلاحظت أن دكتور دى قد بدأ يتحرك.

ولكن ألكسندر لم يلاحظ ذلك. خطا فوق جسد دكتور دى لدرجة أنه لم يهتم أن يكون دكتور دى قد جرح جرحًا بالغًا.

رأيت عمى يصل إلى ألكسندر ويجذبه من كاحله.

تعثر ألكسندر ووقع على مرفقيه وركبتيه وهو يصيح: «يا للهول».

صرخت شينا ورجعت إلى الوراء لتمسك بالسور.

بدأ الأمل يساورنى من جديد. تسارعت دقات قلبى. فربما لن يستطيعوا الفرار فى النهاية.

جلس ألكسندر مذهولاً وهو يمسح على مرفقه.

ونادى على الرجال الملثمين: «أحضروهم».

صعد اثنان منهم مرة أخرى على ظهر «كاسندرا»، وجذبا دكتور دى، فجرت شينا نحوهم وهى تضربهم بقبضتيها الصغيرتين.

ولكن بالطبع لم يكن لهذا أى جدوى. فقد شد الرجل الملثم الثالث يديها ووضعهما خلف ظهرها.

صرخت من داخل الزجاج: «اركليهم يا شينا».

حاولت شينا أن تركل الرجل الذى كان يحملها ولكنه أحكم قبضته عليها. لم تستطع الحركة.

صرخت فى يأس: «اتركوهم».

ثم سأل أحدهم: «وماذا سنفعل بهم؟».

فقال ألكسندر: «أيًّا كان ما ستفعلون فافعلوه بسرعة. فيجب أن نخرج من هنا بأقصى سرعة».

نظر الرجل الذى يحمل شينا إلىَّ. كنت أحاول بجنون أن أخطو على المياه لكى أحافظ على نفسى طافيًا على سطحها.

ثم قال فى عبوس: «ربما يستدعون شرطة الجزيرة أو حرس السواحل. فمن الأفضل أن نقتلهم».

واقترح أحد زملائه: «ألقوهم جميعًا داخل الحوض!».

٢٢

وقال دكتور دى لألكسندر: «أعرف أنك لست رجلاً شريرًا!» فلا تدعهم يفعلون ذلك».

تجنب ألكسندر نظرة عمى القاسية وقال: «أنا آسف يا دكتور دى. فأنا لا أستطيع أن أوقفهم. فإذا حاولت سيقتلوننى أنا أيضًا».

وبدون أن ينطق بكلمة واحدة غادر المركب إلى المركب الأخرى.

وأدركت وأنا فى شدة الغضب أنه نذل.

رفع اثنان من الرجال الملثمين دكتور دى وألقوا به داخل الحوض. فاستقر بجانبى محدثًا جلبة فى المياه.

وسألته: «هل أنت بخير؟».

مسح على مؤخرة رأسه ثم أومأ.

كانت شينا هى التالية. ألقوا بها بسهولة فطارت فى الهواء وهى تهز يديها ورجليها. ثم سقطت فى المياه.

وضع الرجال غطاء الحوض وأحكموا إغلاقه.

نظرت إليهم وأدركت وأنا فى شدة الفزع أنه ليس لدينا أمل فى الهروب.

بلغ عمق المياه فى الحوض حوالى ستة أقدام.

كنا جميعًا نرفس ونخطو على سطح المياه لكى نبقى على السطح. وكان المكان ضيقًا جدًا لكى يسعنا نحن الثلاثة.

وقال أحد الرجال: «حسنًا، فلنذهب».

وصرخ دكتور دى: «انتظروا، لا يمكن أن تتركونا هنا هكذا!».

تبادل الرجال الثلاثة النظرات ثم قال أحدهم: «أنت على حق. فلا نستطيع أن نفعل ذلك».

وجاءوا إلينا.

إذن فهم ليسوا وحوشًا بلا رحمة فى النهاية. فلن يتركونا.

ولكن ماذا يريدون أن يفعلوا؟

أشار الرجل الأول إلى الرجلين الآخرين فرفعا أيديهما إلى جانب من الحوض وقال الرجل الأول: «واحد، اثنان، ثلاثة...».

وعندما وصل إلى ثلاثة دفعوا بالحوض من على ظهر المركب.

ألقوا بنا جميعًا فارتطمت أجسادنا بجانب الحوض الذى سقط فى المحيط.

تسربت مياه المحيط داخل الحوض.

وصاح دكتور دى: «الحوض - إنه يغرق!».

شاهدنا مركب الخاطفين وهى تهرب بعيدًا. اهتز الحوض بنا ثم بدأ يغرق.

وصرخت شينا: «إننا ننزل إلى القاع - سوف نغرق».

٢٣

حاولنا نحن الثلاثة فى يأس دفع الغطاء. كنت أضربه بقبضتى، وحاول دكتور دى أن يصل إليه بكتفه.

ولكن الحوض تمايل داخل المياه وسقطنا جميعًا.

كان الغطاء مصنوعًا من شبكة من الصلب الثقيل. وأحكم إغلاقه بأقفال فى نهاية الحوض. لم نستطع أن نصل إلى الأقفال من الداخل وكان علينا أن نحاول أن نحطمه.

دفعنا بكل قوتنا. ولكنها لم تتحرك.

كان الحوض يغوص إلى أسفل تحت سطح المياه المظلمة المتماوجة.

واختفى القمر خلف غلالة من السحب فتركنا فى ظلام دامس.

كان أمامنا دقيقة أو دقيقتان قبل أن يسقط كلية إلى قاع البحر.

بدأت شينا تبكى وهى تصرخ: «أنا خائفة جدًا! أنا خائفة جدًا».

ضرب دكتور دى بقبضته داخل الحوض الزجاجى محاولاً أن يحطمه.

وكنت أحرك يدى فى كل الأماكن أعلى الحوض لعلى أجد نقطة ضعيفة فى الغطاء.

ثم أمسكت بشىء.

كان قفلاً صغيرًا.

وصرخت وأنا أشير إلى القفل: «انظرا».

عبثت به محاولاً أن أفتحه: «إنه مغلق!».

فمد دكتور دى يده إلى القفل وقال: «دعنى أحاول» ثم قال: «إنه مغلق بإحكام».

أخذت شينا مشبكًا من شعرها وقالت: «ربما نستطيع أن نفتحه بهذا».

أخذ دكتور دى مشبك الشعر وحاول وضعه فى القفل وقال: «إنه يعمل».

قلت لنفسى ربما هناك أمل! ربما سنخرج من هنا!

ثم توقف دكتور دى وضرب على القفل.

إنه يتحرك!

لقد انفتح!

وصرخت شينا: «نحن أحرار».

دفعنا جميعًا الغطاء. ثم دفعنا مجددًا.

وشجعنا دكتور دى قائلاً: «هيا يا أولاد. ادفعا بقوة».

دفعنا مرة أخرى. لكن الغطاء لم يتحرك. فالقفل لم يفتحه فى النهاية. حيث كان هناك قفلان آخران.

قفلان لم نستطع أن نصل إليهما.

صمتنا جميعًا. كان الصوت الوحيد حولنا هو صوت بكاء شينا الضعيف الخائف وأصوات الأمواج المتلاطمة.

كانت المياه قد ارتفعت حتى وصلت إلى أعلى الحوض تقريبًا.

وعما قريب كانت ستغمرنا.

فجأة أظلم المحيط وامتلأت المياه بالأمواج واهتز الحوض أسرع.

وسألت شينا: «ما هذا الصوت؟».

سمعت من خلال الأمواج صوتًا غريبًا. كان ضعيفًا وكأنه آتٍ من مكان بعيد.

بدا لى كصوت صفارة عالية.

وقال دكتور دى: «إنه صوت سارينة. بل إنها الكثير من السارينات».

كانت الأصوات ترتفع فوق المياه.

أعلى وأقرب.

وبدأ الصوت - على قوته التى تشبه قوة المعادن - يحيط بنا.

وفجأة ظهرت أشكال مظلمة وأحاطت بالحوض.

فألصقنا جميعًا وجوهنا بالزجاج.

وسأل دكتور دى: «ما هذا الصوت. لم أسمع مثله مطلقًا. فماذا يمكن أن يكون؟».

وقلت فى دهشة: «إنه يأتى من كل مكان حولنا».

ارتفعت المياه المظلمة التى امتلأت بالأشكال المبهمة.

نظرت من خلال الرغاوى فى المياه وكنت أجاهد لأرى.

وفجأة ظهر وجه فى المياه المظلمة. كان يضغط على الزجاج أمام وجهى مباشرة.

لهثت ثم تراجعت إلى الوراء.

ورأيت المزيد من الوجوه. وأحاطت بنا من كل جانب وجوه فتيات صغار.

كانت أعينهم الواسعة تحدق إلينا وتملؤها نظرات التهديد.

صرخت: «عرائس البحر».

وقال دكتور دى فى ذهول: «العشرات منهن!».

كن يحركن المياه بأذيالهن الطويلة.

أما شعورهن فعبارة عن ربطات مظلمة فى المياه السوداء تنسدل حول وجوههن.

اهتز الحوض أكثر فأكثر.

صرخت شينا وصوتها يرتعش: «ماذا يردن؟».

وهمس دكتور دي: «يبدو عليهن الغضب».

نظرت إلى عرائس البحر هن يحمن حولنا كالأشباح.

وضعن أيديهن على الحوض وأمسكن به. وكانت أذيالهن تتحرك فى المياه والمياه تهتز وتتماوج حولنا.

فجأة أدركت. أدركت ما يردن.

وقلت: «الانتقام. لقد جئن للانتقام. فلقد أخذنا صديقتهن والآن جئن لينتقمن منا».

٢٤

ظلت الأيدى المظلمة تضغط بقوة على الزجاج.

وصرخ دكتور دى: «إنهن يدفعننا لأسفل».

لهثت فى فزع وأنا أحدق إلى الأيدى المظلمة على الزجاج.

وفجأة بدأ الحوض يرتفع إلى خارج المياه. أعلى فأعلى.

وسألت شينا: «ماذا يحدث؟».

فصحت فى فرح: «إنهم يدفعننا إلى أعلى مرة أخرى».

وصاح دكتور دى: «لم تأت عرائس البحر للانتقام. وإنما جاءت لتنقذنا».

ارتفع الحوض بجانب «كاسندرا». ورأيت عرائس البحر وهن يعملن بأيديهن فوقنا.

فانفتحت الأقفال وانزلق الغطاء.

وبابتسامة دفع دكتور دى شينا إلى أعلى.

فنزلت على ظهر المركب.

ثم جاء دورى لأنزل على ظهر المركب وبعد ذلك ساعد كلانا دكتور دى ليخرج من الحوض.

كنا مبتلين ونرتعش من البرد ولكننا كنا فى أمان.

وكانت عرائس البحر تحيط بالمركب وهن ينظرن إلينا بأعينهن الباهتة.

وقال لهن دكتور دى: «أشكركن. أشكركن لأنكن أنقذتن حياتنا».

وهنا أدركت أن هذه هى المرة الثانية التى تنقذ فيها عروس البحر حياتى. وأصبحت الآن أدين لهن بأكثر من ذى قبل.

وقلت: «يجب أن نعيد عروس البحر المخطوفة. فمن يعلم ماذا سيفعل بها ألكسندر وهؤلاء الأنذال!».

وصاحت شينا: «نعم، انظر ماذا حاولوا أن يفعلوا بنا!».

فقال دكتور دى وهو يهز رأسه: «أتمنى لو أننا نستطيع أن ننقذها. ولكننى لا أعرف كيف. فكيف سنجد مركب الخاطفين فى هذا الظلام؟ فلقد ذهبوا منذ وقت طويل».

ولكننى كنت أعلم أنه يجب أن تكون هناك طريقة ما. انحنيت على سور المركب ونظرت إلى عرائس البحر وهن يسبحن بجانبنا محدثات أصواتًا تحت ضوء القمر.

وتوسلت إليهن: «ساعدننا نحن نريد أن نجد صديقتكن. من فضلكن هل تستطعن أن تأخذننا إليها؟».

حبست أنفاسى وانتظرت. يا ترى هل ستفهمنى عرائس البحر؟

وهل ستتمكن من مساعدتنا بأى طريقة؟

كانت عرائس البحر تتحدث وتصفر لبعضها البعض. ثم تحركت إحداهن - وكان شعرها أسود وذيلها أطول - ووقفت فى مقدمة المجموعة.

بدأت تصفر وتطقطق لبقية عرائس البحر وكأنها تصدر أوامر.

نظرنا نحن الثلاثة فى دهشة إلى عرائس البحر وهن يشكلن صفًا طويلاً.

ثم سارت كل واحدة منهن خلف الأخرى وتحركن بعيدًا داخل المياه.

وسألت: «هل تظنان أنهن سترشدننا إلى الخاطفين؟».

فأجاب دكتور دى وهو يفكر: «ربما. ولكن كيف ستجد عرائس البحر المركب؟».

ومسح على ذقنه ثم قال: «أعلم. أراهن أنهن سيستخدمن الذبذبات الصوتية، أتمنى لو كان عندى الوقت لأستمع إلى هذه الأصوات التى يصدرنها».

وقاطعته شينا: «انظر يا دكتور دى إنهن يسبحن بعيدًا!».

شاهدنا الأشكال المظلمة وهى تتحرك وتسبح فى المياه.

وصرخت: «بسرعة. يجب أن نلحق بهن».

فرد دكتور دى وهو يتنهد: «إن ذلك فى غاية الخطورة. فنحن لا نستطيع أن نقاتل ألكسندر وأربعة رجال ملثمين وحدنا!».

وظل دكتور دى يمشى إلى الأمام والخلف.

وقال أخيرًا: «يجب أن نستدعى شرطة الجزيرة، ولكن ماذا سنقول لهم؟ إننا نبحث عن عروس بحر مخطوفة!! لن يصدقنا أحد».

توسلت إلى دكتور دى: «أرجوك. يجب أن نتبعهن. فعرائس البحر قد بدأن يختفين عن الأنظار».

نظر إلى للحظة طويلة ثم قال: «حسنًا. فلنذهب».

أسرعت إلى مؤخرة المركب لأحل الزورق. ثم أنزله دكتور دى إلى المياه وقفز داخله وتبعته أنا وشينا. وأدار دكتور دى المحرك وأسرعنا خلف طابور عرائس البحر المتلألئ.

كانت عرائس البحر تسبح بسرعة شديدة على المياه المتماوجة وكان من الصعب على الزورق أن يلحق بهن.

وبعد خمس عشرة أو عشرين دقيقة وجدنا أنفسنا داخل خليج صغير مهجور.

ظهر القمر من خلال السحب وألقى بضوئه الباهت على المركب المظلمة الراسية بالقرب من الشاطئ.

أوقف دكتور دى المحرك حتى لا يسمعنا المختطفون فيعرفوا أننا اقتربنا.

وهمس قائلاً: «لابد أنهم نائمون!».

وقالت شينا: «كيف استطاع ألكسندر أن ينام بعد ما فعله بنا؟ فقد تركنا لنغرق».

فأجاب دكتور دى فى حزن: «المال يجعل الناس يفعلون أشياء بشعة، ولكنه شىء جيد أنهم يظنون أننا أموات. فلن يتوقعوا قدومنا».

همست وأنا أنظر إلى المركب المظلمة التى كانت تهتز بلطف تحت ضوء القمر والجو ملىء بالضباب: «ولكن أين عروس البحر؟».

اقتربنا فى هدوء من المركب المظلمة.

وقلت لنفسى: «حسنًا. لقد عثرنا على الخاطفين. وكنت أمسك بجانب الزورق كلما اقتربنا. ولكن هناك مشكلة واحدة. ماذا سنفعل بعد ذلك؟».

٢٥

أصبح الهواء هادئًا. كانت مركب الخاطفين تقف فى هدوء على مياه الخليج البيضاء الهادئة.

وهمست شينا: «ماذا حدث لعرائس البحر؟».

هززت كتفى. لم يكن لهن أى أثر. وتخيلت أنهن يسبحن تحت السطح ويختبئن.

وفجأة وبالقرب من مركب الخاطفين شاهدت تموجات فى المياه.

وتحرك زورقنا ناحية المركب فى بطء وهدوء. ونظرت إلى تموجات المياه لأعرف سببها.

فرأيت شعرًا أشقر تحت ضوء القمر.

وهمست: «إنها عروس البحر! إنها هنا!».

كانت تسبح فى المياه وهى مربوطة فى مؤخرة مركب الخاطفين.

وهمس دكتور دى فى شغف: «لابد أنهم لا يملكون حوضًا يضعونها به. لحسن حظنا».

وفجأة وجدنا أشكالاً تتحرك في المياه. فعرائس البحر كن يحطن بالعروس المخطوفة مُشَكِّلات دائرة حولها.

رأيت ذيولاً مرفوعة وكأنها مراوح عملاقة ورأيت أيادى تحاول الوصول إلى عروس البحر وتجذب بالحبل الذى يربطها.

كانت المياه تهتز بلطف وعرائس البحر يعملن.

وهمست: «إنهن يحررنها».

وسألت شينا: «وما دورنا نحن؟».

فأجاب دكتور دى: «سنتأكد أنها ستهرب فى أمان. ثم نهرب بعدها. ولن يعرف الخاطفون أبدًا أننا كنا هنا».

نظرنا إلى عرائس البحر وهن يحاولن قطع الحبل الذى يربط العروس المخطوفة.

وكان زورقنا يسبح بالقرب من مركب الخاطفين.

وحثت شينا عرائس البحر قائلة: «هيا! أسرعن».

وقلت: «ربما كنَّ فى حاجة إلى المساعدة».

وبدأ دكتور دى يحرك الزورق فى اتجاه عرائس البحر.

فزعت عندما رأيت ضوءًا على مركب الخاطفين. وتحول الضوء من ضوء ثقاب إلى ضوء مصباح.

وسأل صوت غاضب: «ماذا تظنون أنكم فاعلون؟».

٢٦

تراجعت للوراء عندما رأيت ضوء المصباح فى وجهى.

ومن خلف المصباح كان أحد الخاطفين يحدق إلى. وكان قد وضع بسرعة قناعه الأسود فغطى فقط أعلى وجهه.

ثم سمعت ضوضاء وصيحات تعجب وظهر ألكسندر معه ثلاثة من الخاطفين وسألنى الرجل الذى كان يحمل المصباح: «كيف وصلتم إلى هنا؟ ولماذا لم تموتوا!».

فرد دكتور دى: «لقد جئنا من أجل عروس البحر. لا ينبغى أن تتركوها هنا!».

كان المصباح يتحرك أمام رأسى فوقفت فى الزورق محاولاً أن ألقى به داخل المياه.

وصاح دكتور دى: «لا يا بيلى».

سحب الخاطف المصباح بعيدًا فسقطت إلى الأمام وتعثرت بشينا.

وقال دكتور دى: «أعيدوا إلينا عروس البحر».

فقال أحد الخاطفين: «من وجدها يحتفظ بها».

ثم قال: «لقد تكبدتم مشقة رحلة طويلة بلا نتيجة. انظروا إن زورقكم يحترق».

أنزل المصباح وقربه من الزورق فأشعل به النيران.

٢٧

توهجت النيران باللونين البرتقالى والأصفر فى مقابل السماء التى تلونت بالأزرق والأسود. وانتشرت ألسنة اللهب سريعًا فى مقدمة الزورق.

أطلقت شينا صرخة رعب وحاولت أن تبتعد عن النيران.

وفى ذعر حاولت أن تقفز إلى المياه ولكن دكتور دى جذبها قائلاً: «لا تتركى الزورق. فسوف تغرقين».

ارتفع صوت النيران وتعالت ألسنة اللهب.

انتزع دكتور دى سترة النجاة من أسفل الزورق وحاول فى ذعر أن يطفئ النيران وصرخ قائلاً: «أحضر سترة نجاة يا بيلى وأنت يا شينا أحضرى دلوًا وألقى بالماء على النار. أسرعى».

وجدت سترة نجاة وبدأت أطفئ بها النيران وألقت شينا بالمياه من البحر على النيران بأسرع ما فى إمكانها.

وسمعت ألكسندر من خلال النيران يصرخ: «أحضروا عروس البحر على ظهر المركب ولنرحل من هنا».

صمت: «دكتور دى! إنهم يهربون بعيدًا!».

ولكننى سمعت الخاطفين يصرخون: «عروس البحر! أين عروس البحر؟».

نظرت إلى جانب الزورق. كانت عروس البحر قد اختفت. حررها أصدقاؤها، مد أحد الخاطفين يده من القارب وأمسك بى وقال: «ماذا فعلت بعروس البحر؟».

فصرخ دكتور دى: «دعه يذهب».

حاولت أن أهرب منه ولكنه أحكم قبضته على. ثم رأيت أحدهم يرفع المطرقة على رأس دكتور دى ولكنه نجح فى تفادى الضربة. فحاول الخاطف أن يضربه على بطنه فتفاداها دكتور دى مرة أخرى.

كنت أركل وأرفس وضربت شينا على يدى الخاطف لتساعدنى على الهرب.

فأمسك بها الرجل الثالث بقبضته وألقى بها على أرضية الزورق.

وتوسل دكتور دى: «اتركوا الأولاد. فلتساعدنا يا ألكسندر».

لم يتحرك ألكسندر من مكانه على ظهر المركب وإنما وقف وكتف يديه أمامه وظل يشاهد المعركة فى هدوء.

كانت النيران قد بدأت تخمد ولكنها اشتعلت فجأة من جديد.

صحت: «شينا ـ النيران! أخمدى النيران!».

أخذت شينا الدلو وألقت بالمياه فى كل أنحاء الزورق.

ألقى أحد الخاطفين بالدلو بعيدًا عن يديها فسقط فى المياه محدثًا صوتًا، فالتقطت شينا سترة النجاة وبدأت تطفئ بها النيران.

وسمعت أحد الخاطفين يصرخ: «انزلوا إلى زورقهم وألقوا بهم فى المياه».

وبدأ رجل يتجه نحو الزورق ولكنه فجأة اهتز وحرك يديه فى دهشة وكانت مركبهم تهتز بعنف إلى اليسار وكأن موجة كبيرة ضربتها.

صرخ الخاطفون بينما تحركت مركبهم إلى الأمام والخلف. فى البداية ببطء ثم بعنف.

أمسكت جيدًا فى الزورق ووجدتهم ممسكين فى سور المركب ويصرخون فى ارتباك ودهشة.

وقف دكتور دى ببطء ليرى ماذا يحدث.

كانت مركبهم تهتز بعنف وكأنها تصارع أمواجًا عنيفة.

إنهن عرائس البحر. أستطيع أن أراهن الآن.

أحطن بمركب الخاطفين وكن يهززنها بعنف.

أعنف ثم أعنف. وتشبث الخاطفون فى يأس.

وصاح دكتور دى فرحًا: «أنجزنا المهمة».

عمل المحرك فانطلقنا سريعًا.

ونظرت خلفى فوجدت المركب تتمايل وتهتز بمنتهى العنف فى المياه.

ورأيت عروس البحر المخطوفة.

تسبح حرة خلف عرائس البحر الأخرى وسط الأمواج المتلألئة.

وصحت: «لقد نجت. لقد أصبحت حرة».

وقالت شينا: «أتمنى أن تصبح بخير».

وقال دكتور دى ونحن متجهون إلى مركبه ومعمله فى البحر: «سنبحث عنها غدًا فنحن نعرف أين نجدها».

نظرت شينا إلىّ ونظرت إليها.

لا، ليس بعد كل ما حدث. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا.

هل سيأخذ دكتور دى عروس البحر مرة أخرى ويسلمها لحديقة الحيوان؟

وفى الصباح التالى التقينا أنا وشينا فى المطبخ. فبما أن ألكسندر قد رحل كان علينا أن نعد إفطارنا بأنفسنا.

وسألت شينا: «هل تظن أن عروس البحر عادت إلى المستنقع؟».

فأجبت: «من المحتمل. فهذا هو المكان الذى تعيش فيه».

وضعت شينا بعضًا من الحبوب فى فمها بالملعقة وأخذت تمضغ وهى تفكر. قلت: «لو أعطاك أحد مليون دولار يا شينا. فهل سترينه أين تعيش عروس البحر؟».

فأجابت: «لا. إذا كانوا يريدون أن يحبسوها».

وقلت: «ولا أنا أيضًا. وهذا ما لا أفهمه. فدكتور دى رجل عظيم، وأنا لا أستطيع أن أصدق أنه سوف...».

توقفت. سمعت صوتًا. صوت محرك.

أنصتت شينا. فسمعت الصوت هى الأخرى.

ألقينا بالملاعق وركضنا إلى ظهر المركب ووجدنا دكتور دى واقفًا ينظر إلى البحر.

شاهدنا مركبًا تقترب. كانت مركبًا بيضاء ومكتوبًا عليها بحروف كبيرة: «حديقة حيوان مارينا».

وقلت لشينا: «إنهم الأشخاص من حديقة الحيوان! لقد وصلوا!».

تساءلت وخوفى يزداد: «ماذا سيفعل عمنا. هل سيقول لهم أين تعيش عروس البحر؟ هل سيقبل المليون دولار؟ اختبأت أنا وشينا خلف حجرة القيادة وشاهدنا مركب «حديقة حيوان مارينا» وهى تقف بجوار «كاسندرا». تعرفت على السيد شوالتر والآنسة ويكمان.

ألقى السيد شوالتر بالحبل إلى دكتور دى وقفزت الآنسة ويكمان على ظهر المركب.

ثم ابتسم الشخصان اللذان هما من حديقة الحيوان وصافحا دكتور دى فأومأ إليهما فى وقار.

وقال السيد شوالتر: «وردت إلينا أخبار من الصيادين فى سانتا أنيتا أنك وجدت عروس البحر، ونحن مستعدان لأخذها من الآن».

فتحت الآنسة ويكمان حقيبتها وأخرجت منها ظرفًا صغيرًا.

ثم قالت وهى تبتسم: «هذا الإيصال قيمته مليون دولار يا دكتور دى إنه من أجلك ومن أجل أبحاث معمل كاسندرا».

ورفعت الإيصال إلى عمى.

نظرت من خلف حجرة القيادة وتوسلت فى هدوء: «أرجوك لا تأخذه يا دكتور دى. أرجوك لا تأخذ الإيصال».

قال عمى: «أشكرك شكرًا جزيلاً». ومد يده وأخذ الإيصال.

٢٨

وقال دكتور دى: «إن مليون دولار تعنى الكثير بالنسبة لى ولعملى».

وحديقة الحيوان فى غاية السخاء. ولهذا أنا آسف أننى مضطر أن أفعل ذلك».

رفع الظرف ومزقه نصفين.

نظر الشخصان اللذان هما من حديقة الحيوان فى دهشة.

ثم قال دكتور دى: «لا أستطيع أن أقبل المال».

وسأل السيد شوالتر: «ماذا تعنى بالضبط يا دكتور دى؟».

فأجاب عمى: «لقد أرسلتمونى فى مهمة لا أعرف مصيرها. ولقد بحثت فى المياه كلها منذ تركتمونى. استخدمت أدواتى وفتشت فى كل بوصة فى المستنقع وفى المياه المحيطة. وأنا مقتنع الآن أكثر من ذى قبل أنه لا وجود لعرائس البحر».

صرخت فى سرى: «ياه» وأردت أن أقفز من شدة الفرح ولكننى ظللت مختفيًا مع شينا خلف حجرة القيادة.

لكن الآنسة ويكمان اعترضت قائلة: «ولكن ماذا عن قصص الصيادين؟».

فأجاب دكتور دى: «إن الصيادين دائمًا ما كانوا يروون قصصًا عن عرائس البحر».

منذ سنوات. وأظن أنهم يصدقون فعلاً أنهم رأوا عرائس البحر من خلال الضباب فى الأيام المظلمة. ولكن كل ما رأوه هو أسماك أو دلافين أو كلاب البحر أو حتى سباحون وذلك لأن عرائس البحر ليس لها وجود فهى مخلوقات خيالية.

تنهد السيد شوالتر والآنسة ويكمان من خيبة الأمل.

وسأل السيد شوالتر: «هل أنت متأكد من هذا؟».

وأجاب عمى فى صرامة: «متأكد جدًا. فأدواتى فى غاية الحساسية وبإمكانها التقاط أصغر سمكة».

وقال السيد شوالتر فى حزن: «نحن نحترم رأيك يا دكتور دى فأنت أكبر متخصص فى كائنات البحر الغريبة ولهذا جئنا إليك فى المقام الأول».

وقال دكتور دى: «أشكركم وأتمنى أن تأخذوا نصيحتى وتتخلوا عن فكرة صيد عروس البحر».

وقالت الآنسة ويكمان: «أعتقد أننا مضطرون لذلك. شكرًا لمحاولتك يا دكتور دى».

تصافحوا جميعًا ثم عاد الأشخاص الذين هم من حديقة الحيوان إلى مركبهم وساروا بعيدًا.

كان الشاطئ قد أصبح خاليًا. فصعدت أنا وشينا بسرعة من مكان اختبائنا.

وصاحت شينا: «دكتور دى» ووضعت يديها حوله وقالت: «أنت إنسان عظيم».

علت ابتسامة عريضة وجه دكتور دى وقال: «شكرًا أيها الأولاد، ومنذ الآن فصاعدًا لن يقول أحد منا شيئًا لأحد عن عرائس البحر. هل اتفقنا؟».

فوافقت شينا سريعًا وقالت: «اتفقنا».

وقلت: «اتفقنا» وتصافحنا جميعًا.

كانت عروس البحر هى سرنا.

أقسمت أننى لن أذكر أمر عروس البحر لأى شخص. ولكننى أردت رؤيتها لمرة أخيرة. أردت أن أودعها.

بعد الغداء ذهب دكتور دى وشينا إلى كابينتهما ليأخذا غفوة. فقد كنا قد استيقظنا معظم الليل. وتظاهرت أننى أيضًا سآخذ غفوة.

ولكن بمجرد أن خلدا إلى النوم تسللت من كابينتى ونزلت إلى المياه الزرقاء اللامعة.

سبحت حتى وصلت إلى المستنقع لأبحث عن عروس البحر.

كانت الشمس مرتفعة فى كبد السماء الزرقاء الباهتة. وقد أرسلت بأشعتها على مياه المستنقع الهادئة فتلألأت وكأنها مكسوة بالذهب.

وتساءلت: عروس البحر؟ أين أنت؟

كنت قد مررت للتو من الشعب عندما شعرت بوخزة على قدمى.

وقلت: «هل هى شينا؟ هل تبعتنى مرة أخرى».

استدرت لأمسك بها.

ولكننى لم أجد أحدًا.

ربما هى أعشاب البحر. واستمررت فى السباحة.

وبعد ثوان قليلة شعرت بوخزة مرة أخرى ولكنها أشد هذه المرة.

هنا قلت لنفسى: «لابد أنها عروس البحر!».

فاستدرت مرة أخرى أبحث عنها.

كانت المياه تتحرك.

وناديت: «يا عروس البحر؟».

فظهر رأس من المياه.

كان رأسًا كبيرًا ورفيعًا ولونه أخضر غامق.

وله عين كبيرة واحدة.

وفم مملوء بالأسنان.

صرخت فى رعب: «وحش البحر! وحش البحر!».

هل سيصدقوننى هذه المرة؟؟؟!

صرخة الرعب
Goosebumps®



أعماق الخطر

يقوم «بيلى» وأخته «شينا» بزيارة عمهما الدكتور «ديب» بجزيرة صغيرة من جزر الكاريبى. إنه أفضل مكان لاستكشاف أعماق المحيط... ولقد أصبح «بيلى» مستعداً للمغامرة.

لكن هناك قاعدة واحدة يجب تذكرها: لا تقترب أبداً من الشعاب المرجانية!

لكن الشعاب جميلة جداً، وهادئة جداً.. إن «بيلى» لا يستطيع مقاومتها.

لكن «بيلى» ليس وحده فى المياه، فهناك من يتجول تحتُ فى الأعماق...

شىء داكن وحرشفى شىء نصف إنسان ونصف سمكة..

